السمات اللغوية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ) دراسة وصفية في ضوء النظرية البنيوية

الدكتورة

أمل عبد الفتاح أحمد محمد

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

السمات اللغوية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ)

دراسة وصفية في ضوء النظرية البنيوية

يسعى هذا البحث إلى قراءة التراث اللغوي العربي ممثلاً في (مفتاح العلوم للسكاكي)، قراءة معاصرة تستثمر هذه الدراسة بعض الآليات اللغوية المعاصرة؛ لإظهار العلاقة بين ظواهر اختص بها التراث اللغوي العربي، وأخرى اختص بها الفكر المعاصر، في ضوء النظرية البنيوية التي أصبحت كثيرًا ما تعتمد على شرح عيون النصوص في التراث اللغوي العربي؛ مما يسهم في تعميق فهمنا لنصوص وقضايا فكرية لا تزال راهنة، وأنّ من يُحصِّل علومًا جديدة، ويقف على حقائق مختلفة، إنما يبدل من نظرته إلى نفسه، فيعود إلى تراثه ليقرأه من حيث لم يقرأ، وليفهمه على نحو جديد؛ للكشف عن خبايا هذا التراث العربي، وإمكاناته الإبداعية.

Abstract

The Linguistic Features in the Book "Key to Science" of the Deceased Sakakie (Died 626 Hj)

Descriptive Study in the Light of Structural Theory

This research aims at reading the Arabic linguistic heritage through the book "Key to science" written by Sakakie". It is a contemporary reading. This study invests some contemporary linguistic mechanisms to show the relationship between phenomena specialized in Arabic linguistic heritage and others.

In the light of the structural theory which has often depended on the explanation of the outstanding texts in the Arabic linguistic heritage, which contributes to the depending of our understanding of the texts and intellectual issues that are still current as those who study new sciences and know the different facts, they re–evaluate themselves, and return to their heritage to read and re-understand and to understand it in a new way, to uncover the hidden Arab heritage, and its creative potential.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،،،

فتراثنا اللغوي العربي يزخر بالكنوز والدُرر الثمينة التي لا يتوصل إليها إلا من يسبرون أغوار العلوم، وما من شك أن اللغة العربية تُعَد من أهم البحور الزاخرة التي تأخذ بالألباب، ولعل من أبرز الجهود التي خاضت في لجج هذا البحر، ما أرساه السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) من دراسة اللغة ومسائلها، وكشف أسرارها، وعلى أساس منها تُقام البنيوية اللغوية ويتألف الكلام بدراسة مستويات اللغة، وطرق وكيفيات استخدام العلاقات اللغوية، والسياقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب.

وانطلاقًا من هذا الارتباط، جمعت هذه الدراسة بين التراث والحداثة، موظفة أحدث النظريات اللسانية (البنيوية) للكشف عن خبايا التراث العربي وإمكاناته الإبداعية.

والذي نريدُ أن يُنظر في دراستانا هذه هو أسباب قصدية توظف منهج البنيوية في اللغة العربية في وصفها ورصد خصائصها، وتفسير ظواهرها اللغوية المختلفة، ومدى إمكانية إقامة حوار بين الفكر اللغوي العربي والفكر اللساني الغربي، وجمعًا لهذه الأسباب أردت أن يكون عنوان البحث (السمات

اللغوية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ): دراسة وصفية في ضوء النظرية البنيوية).

والذي أحاول فيه الإلمام بسمات تحليل الظاهرة اللغوية لدى (السكاكي) من حيث منطلقاته المنهجية، وقصد إبراز قيمة الموروث اللغوي العربي الزاخر الذي تفخر به اللغة العربية.

دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

قد كان اختياري لهذا الموضوع استجابة لما قرأته من آراء السكاكي في مؤلفات وأبحاث كثيرٍ من العلماء، وما وجدته من توافق بين تلك الآراء وما نادت به الدراسات الحديثة، وعزز ذلك الأسباب التالية:

١ــ أن السكاكي لم يحظ بالاهتمام الكافي من الدراسات اللغوية الحديثة، وكتابه (مفتاح العلوم) يعد منطلق لعلوم العربية، وجدير بالدراسات اللغوية الحديثة أن تقف عليه؛ ليتسنى للباحثين معرفة أصول تراثهم وربط ماضيهم بحاضرهم.

٢ــ كثير من آراء علماء الدراسات اللغوية الحديثة، تبدو جديدة لبعض الباحثين؛ لعدم عنايتهم بتراث العربية، وما سطّره علماؤها في هذا الحقل العلمي.

٣ــ للسكاكي آراء صائبة، ونظرات ثاقبة في علوم اللغة العربية، نجدها كالدرر المنثورة في مؤلَفه (مفتاح العلوم)، فعقدت العزم على جمع ما تيسر منها؛ خدمة لعلم العربية، ووفاءً للسكاكي ببعض ما قدمه لعلوم اللسان العربي.

أهداف البحـــــث:

إن هذا البحث يستمد قيمته العلمية من الكشف عن إسهامات السكاكي في العربية، وترجو الباحثة أن تصل هذه الدراسة إلـــى تحقيــق الأهــداف التالية:

- تأصيل الكشف البنيوي في الصلات اللغوية قــديمًا وربطهــا بالحاضــر والمستقبل.
- تهدف الدراسة إلى استقراء أفكار علمــاء العربيــة القــدامى وآرائهــم ومصطلحاتهم، التي توافق آراء المحدثين من علماء العربيــة، وغيرهــا وإن اختلف الوصف.
- جمع الآراء والأفكار في بحث واحد، حتّى يســهل تتبعهــا ومناقشــتها، وإعادة تقويمها بما يواكب التطور العلمي.
- تقويم تلك الجهود والآراء في ضوء ما توصلت إليه الدراســات اللغويــة الحديثة وخاصة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
- تأكيد أنَّ البنيوية عمل يقوم على أساس التحليل التركيبي، وأنَّ تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يُمكن أن يتمّ بمعزل عن العنصر الآخر.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، تحملت مشقة الدراسة وعناء البحث، فواجهتني بعض الصعوبات، استطعت بفضل الله التغلب عليها للوصول بهذه الدراسة إلى ما وصلت إليه، ومن أهم تلك الصعوبات، ما يلي:

١ــ عمومية التناول فيما كتب السكاكي في (مفتاح العلوم).

٢ــ أن جميع الذين تحدثوا عن السكاكي في (مفتاح العلوم) ركــزوا علــى جانب واحد من الدراسة اللغوية، وهو جانب الدراسات النحوية، وأُهمل ما يتعلق بالجوانب اللغوية الأخرى، (صوتية وصرفية ودلالية).

٣ــ أن هذا البحث يربط قديم الدرس اللغوي بحديثه، مما يضاعف صعوبات الدراسة، لكنه يجعلها دراسة شَيّقة حــين يكتشــف الباحــث مــثلاً أن مصطلح (الطلب) الذي ذكره السكاكي يقابل مصطلح (الأفعال الكلاميــة) عند علماء الدراسات البنيوية الحديثــة، و(الســياق المقــامي) يقابــل مصطلح (التداولية) عند علماء الدراســات البنيويــة الحديثــة أيضًــا، وتسميته للمكون (مستثنى) وفي البنيوية تسمى (بؤرة)، وغير ذلك.

الدراسات السابقة لهذا البحث:

عند الوقوف على الدراسات السابقة لهذا البحث، لم أجد فيما اطلعــت عليه دراسة عُنيت بجهود السكاكي اللغوية في كتاب (مفتاح العلــوم) فــي ضوء المنهج البنيوي رغم ما له من آراء نيّرة وقــدمٍ راســخة فــي هــذا الميدان؛ لذا جاء موضوع هذا البحث للوقوف على جهود السكاكي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والموازنة بينها وبين معطيات الدرس الحديث ما أمكن ممثلاً في (النظرية البنيوية)، والطرق التي تتناول هذه النظرية في تحليل القضايا اللغوية في (مفتاح العلوم)، وفيما يلي بعض ما وقفت عليــه من دراسات، وهي تتصل بالنظرية البنيوية، ومفتاح العلوم.

ــ علاقة البنيوية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي: هدى عزيزه، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠٠٧/٢٠٠٨م.

منهج البحـــــث:

إن المنهج الذي يتناسب مع هذا النوع من الدراســات، هــو المــنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على:

- وصف الظاهرة وتحليلها.
- التقعيد للظاهرة.
- إصدار الأحكام التي تبين قيمتها.

بالإضافة إلى الاستعانة ببعض المناهج الأخرى، كالمنهج المقارن.

الإشـــــكالية:

شهد حقل الدراسات اللغوية تطورًا ملحوظًا خاصة في مجال اللسانيات، من حيث المناهج والاهتمام باكتساب اللغة وتعلمها إلى درجة شَغُل بها معظم الباحثين والمهتمين بها في الميدان اللغوي، فأمام هذه التطورات ارتأيت أن أبحث في هذا الموضوع محاولة توضيح بعض النقاط العالقة حــول قضــية المنهج البنيوي في الدَرس اللغوي القديم، اعتمادًا على ما تم استقراءه مــن علمائنا المحدثين حول التراث اللغوي ممثلاً في (مفتاح العلوم) للسكاكي.

وبعد معرفة الحقائق المذكورة، شدَّتني أسئلة كثيرة، والتي تتمثل في:

- ما مفهوم البنيوية؟ وأين ومتى ظهرت ملامحها في التراث العربي؟
- ما هي أهم الخصائص البنيوية الموجودة في (مفتاح العلوم)؟
- ما مدى مرونة العربية وشجاعتها الممثلة في (مفتاح العلوم) في اختيــار المنهج البنيوي؟ وهل لهذا الاختيار ما يبرَره؟

ـ ما الموجِّه لهذه البُنى الأساسية؟

ـ ما مظاهر تميز تحليل السكاكي في (مفتاح العلوم) عن غيره، بذكر المرجعية المعرفية في التنظير للتحليل وممارسته، وإظهار ملامح الدقة فيها، من حيث: انحصارها في بنيات اللغة، أو انفتاحها على المتكلم وواقعه، وما قيمة ذلك من المنظور البنيوي الحديث؟.

تلك التساؤلات وغيرها كثير، جذبني للبحث في هذا الموضوع، فكانت إشكالات حاولت الإجابة عنها في هذه الدراسة التي سطرت لها خطة اتخذتُ فيها الهيكل التنظيمي الآتي:

المقدمة: عرضتُ فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وطرح الإشكالية، وأردفتها بتمهيد وأربعة مباحث، وهي كالآتي:

التمهيد وعنوانه: (**البنيوية في المدارس اللسانية المعاصرة وفي التراث العربي**)، ويتضمن:

أولاً : التعريف بالسكاكي ومؤلفه (مفتاح العلوم).

ثانيًا: النظرية البنيوية، ويشمل:

- البنيوية في اللسانيات المعاصرة.
- البنيوية في التراث العربي.
- بين البحث اللغوي العربي والألسنية البنيوية.
- التحليل البنيوي في ضوء النظام اللغوي واتجاهات البحث.

المبحث الأول وعنوانه: (بنيوية الصوامت).

المبحث الثاني وعنوانه: (بنيوية الصوائت).

المبحث الثالث وعنوانه: (بنيوية التراكيب).

المبحث الرابع وعنوانه: (بنيوية الدلالة).

وهذه المباحث عبارة عن جانب تطبيقي للطرائق المعتمدة في النظرية البنيوية للإفادة منها في المجال التطبيقي، باختيار ما تيسّر استقراءه من نصوص السكاكي في (مفتاح العلوم)، وما توّفر لديّ من مصادر اللغة.

الخاتمة: وختمت عملي بنتائج عامة وأخرى خاصة وصلت إليها بعد جهد المقِّل، ثم التوصيات والمقترحات للبحث.

وأخيرًا لا أرى أني ألممت بجزئيات هذا الموضوع، فهو مما لا يستطيع الجهد الفردي إليه سبيلاً، لمكانة علم هذا المؤلِف، وسعة طبيعة التحليل، فضلاً عن تشعب وجهات نظر النظرية البنيوية، لكنني أقول؛ حسبي الاجتهاد، الذي آزرني فيه أصحاب فضل، أخص بالذكر أساتذتي، فلهم شكري واحترامي.

وما توفيقي إلا بالله رب العالمين.

الباحثة

التمهيد

البنيوية في المدارس اللسانية المعاصرة وفي التراث العربي

أولاً ـ التعريف بالسكاكي ومؤلفه (مفتاح العلوم):

يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين[١]، أحد أئمة العربية في عصره، عالمُ فذ في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغير ذلك[٢].

ولد في سنة (٥٥٥هـ)[٣]، جمادي الأولى[٤]، وتوفى بخوارزم سنة (٦٢٦هـ)[٥].

له مصنفات عدة في اللغة والأدب منها: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة[٦]، ومصحف الزهرة[٧].

قال عنه ياقوت الحموي: "علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان"[٨].

وقال السيوطي: "قال ابن فضل الله في المسالك: ذو علوم سعى إليها فحصّل طرائقها، وحفر تحت جناحه طوابقها، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن

(١) الأعلام، للزركلي ٢٢٢/٨.
(٢) معجم المؤلفين ٢٨٢/١٣.
(٣) تاج التراجم في طبقات الحنفية ٢٧/١.
(٤) معجم المؤلفين ٢٨٢/١٣.
(٥) تاج التراجم ٢٧/١، والأعلام للزركلي ١٥/٣.
(٦) الأعلام ٢٢٢/٨.
(٧) معجم المؤلفين ٢٨٢/١٣.
(٨) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٨٦٣/٢.

البارح، ولزّ من تقدمه في الزمان لزّ الجذع، فأضحى الفضل كله يُزم بعنانه، ويزم السيف ونصله بسنانه"[١].

وقد تميز السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) عن أسلافه بحسن التبويب، ودقة الترتيب، فأتي كتابه في ثلاثة أقسام:

الأول منها للصرف، والثاني للنحو، والثالث للبلاغة بعلومها الثلاثة، وما يلحق بها من قافية وعروض وفصاحة وبلاغة ومحسنات، وهي كلها علوم يحتاج إليها كل دارس لعلوم العربية في البلاغة والنقد، وقد اتَّسم كتاب (مفتاح العلوم) بالتعقيد وكثرة الحدود والتقسيم والتفريع، ومع ذلك فقد سار العلماء على نهجه من بعده[٢]، فقد "سار في دراسة هذا الفن على منهج علمي يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساسًا يبنى عليه التعريفات والتقسيمات[٣].

وقد اكتسب (مفتاح العلوم) شهرته من قسمه الثالث الذي تناول السكاكي فيه علم المعاني والبيان، وجعلهما حدّاً للبلاغة، ثم جعل البديع تابعًا لهما[٤].

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/٣١٤.
(٢) البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٢، ٢٠٠٣م، ٢٨٧، ٢٨٨.
(٣) عبد القاهر الجرجاني ــ بلاغته ونقده ــ، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٣م، ٣١٠.
(٤) البلاغة تطور وتاريخ، ٢٩٨.

ثانياً ـ النظرية البنيوية:

ـ البنيوية في اللسانيات المعاصرة:

ـ مفهوم البنيوية:

كلمة بنيوية structuralisme منسوبة إلى كلمة بنيـــة structure المشتقة من الفعل اللاتيني struere الذي يعني البناء أو الطريقة التي يُقام بها مبنى مُعَيِّن(١).

والبنيوية توجه فلسفي أساسه الشكل المجرد والصورة الظاهرة، وهي نظرية المعرفة، أي أنها موجودة في كل المعارف في اللغة وعلوم الطبيعـــة والفيزياء، وغيرها(٢). ومع اللسانيات الحديثة برز هذا التوجه ليغطي العديد من المدارس والنظريات، ابتداءً من الأفكار التي جاء بها دي سوسير حـــول موضوع دراسة الألسن ومنهج الدراسة ومحاولة تحاشـــي عيـــوب القـــديم "وتشمل النظريات اللغوية التي تعتبر أن اللغات الطبيعية أنســـاق(٣) مجـــرّدة يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعـــات"(٤)،

(١) نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشرق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ١٢٠.
(٢) المنحنى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، الطاهر شارف، (سورة البقرة نموذجًا)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص٢.
(٣) النسق: ويقصد به البنية ككل وليس العناصر التي تتكون منها البنية، وإن أي عنصر لغوي تتحدد قيمته بموقع وجوده في منظومة العلاقات داخل النص، والناقد البنيوي ينظـــر فـــي علاقة كل عنصر بباقي العناصر من خلال موقعه في شبكة العلاقات التـــي تـــنظم عناصـــر النص، هذه العلاقات هي التي تكون بنية النص وتنتج النسق. (ينظر: في معرفـــة الـــنص، يمني العيد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م، ٣٣).
(٤) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكـــل، دار الثقافـــة، الـــدار البيضـــاء، المغرب، (د.ت)، ٢٦.

ومن هذه النظريات: النظرية البنيوية الأوروبية، والنظرية البنيوية الأمريكية، وهذا تعريف موجز بالنظريتين:

١ــ النظرية البنيوية الأوروبية:

ظهرت البنيوية الأوروبية مع فرديناند دي سوسير F. desaussure (١٨٥١ــ١٩١٣)، ويُعدَّ أول منشئ لها لتكون مدرسة مستقلة، ووضع لها أسسًا قائمة بذاتها حيث حدد موضوع علم اللغة ومصطلحاته، ومنهج دراسته رافضًا مبادئ الدراسة التاريخية، والمنهج المقارن.

يرى دي سوسير أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها، واللغة عنده هي أشكال تنتظم وفق الأصوات والمتصورات(١)، وتدرس البنية في وضع آني لحظة الاستعمال، حيث اعتمد على الوحدات الشكلية(٢) في تقييم الكلام المنطوق بالانتقال من المركب إلى البسيط، وأصبحت "ثورة في عالم الدراسات اللغوية، بما فعلته في ساحة هذه الدراسات، فحولت مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات"(٣)، وهذا ما حاولت الكتابات اللسانية الوصفية العربية تطبيقه على اللغة

(١) علم اللغة، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م، ٣٠.

(٢) الشكلانية: هي ما يحدثه الجمع بين الأصوات والمعاني وتشكلهما معًا، والفعل اللغوي ينتج عن الجمع بينهما لا بالفصل بينهما، وهذا الجمع يُحدث شكلاً أو بنية هي جوهر اللغة، وهذا التوجه شاع وصار له أتباع وأنصار وسُمِّي فيما بعد بالمنحنى الشكلاني وطبع جُلّ الدراسات البنيوية التي تحفل بشكل اللغات في واقعها الملموس. (سوسير والألسنية، ضمن أهم المدارس اللسانية، محمد الشاوش، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط٢، ١٩٩٠م، ١٤.

(٣) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د.ط)، ١٩٩٤م، ١.

العربية، لكنها "لم تنطلق ــ كما فعل اللسانيون الغربيون ــ من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف هذه مكتفية بمحاولة التطبيق لبعض المفاهيم التي روجتها اللسانيات الوصفية"(١).

كما تميز تعامل الكتابة اللسانية العربية الوصفية مع مبادئ اللسانيات العامة بالتبسيط، واتسم تعاملها مع قضايا اللغة العربية من الناحية الوصفية بكثير من السطحية بسبب انعدام التحليل الوصفي العميق، ومن أمثلة ذلك:

الجملة الإسنادية في قول أحد الدارسين: "بما أن الجملة عملية إسنادية فلا فائدة من تقسيم الجملة إلى فعلية وإسمية؛ إذ لا ترى اللغة العربية في تقديم المسند إليه على المسند محذورًا وخاصة إذا حقق تقديمه غرضًا اقتضاه القول وتطلبه ملابسات الكلام، فالجملة التي تبدأ باسم مسند إليه أو بفعل مسند هي كلتا الحالتين جملة إسنادية ولا فرق بين (جلس الولد)، (الولد جلس).

فالجملتان السابقتان متماثلتان لم يطرأ عليهما أي تغيير وظيفي؛ ولذا تركا في المخطط المشجر المبسط على الشكل التالي:

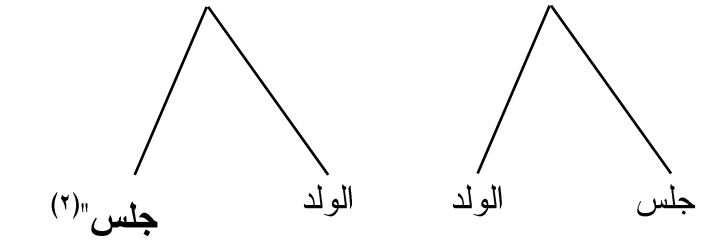

(١) قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، حافظ إسماعيل علوي، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٢م، ٥٥/٢.

كما يقرر أحد الدارسين بكل بساطة أن "كل جملة مفيدة تتألف من موضوع أي شيء يتكلم عنه، ومن خبر عن موضوع وهذا يسقط من الحسبان الجملة الإسمية والفعلية"(١).

إن في هذا الضرب من التحليل لبنية اللغة العربية من الناحية الوصفية خلل منهجي نظرًا للتحليل المبسط والسطحي لأحد أهم المشاكل التي تعترض اللغات الإنسانية والمتعلقة بشكل الرتبة.

ويمكن للمتتبع أن يلاحظ اعتماد هذا النوع من التحليل لكل ما هو سطحي وشكلي في دراسة موقع بعض الوحدات داخل الجملة مثل وجود الفعل قبل الاسم أو بعده. هل تكفي النظرة الشكلية لحل مشكلة الرتبة في العربية؟ إلى أي حد يمكن أن نقول بأن الجملة الإسمية تماثل الجملة الفعلية انطلاقًا من تشابه الشكل البياني الذي يمثلها؟ وما هي القيمة النظرية لهذا المخطط المشجر؟(٢).

فالكتابة الوصفية العربية فعلاً لم تنطلق من طبيعة اللغة العربية في عملية الوصف كما فعل اللسانيون الغربيون، بل اكتفت بمحاولة التطبيق لبعض المفاهيم الوصفية الشائعة(٣).

---

(١) في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحة، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٦م، ٧٥.

(٢) اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، مصطفى غلفان، دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١٣م، ١٨٩.

(٣) عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو إديث كريزويل، ترجمة: جابر عصفور، طبعة دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م، ٢٩.

تطور اللسانيات بعد دي سوسير:

وبعد حقبة من الزمن انتقلنا من دي سوسير إلى الشكلانيين الروس، الذين وضعوا أسسًا منهجية مستقلة عما يريده النظام الشيوعي من تركيز على المضمون، وذهبوا إلى أن قيمة الوسيلة الأدبية تعتمد في الأساس على علاقتها مع الوسائل الأخرى(١).

أما الناقد والكاتب الفرنسي رولان بارت Roland Barthes (١٩١٥ـ١٩٨٠م) فبالرغم من تجاوزه البنيوية وما بعد البنيوية من مدارس نقدية(٢)، إلا أن اسمه ارتبط بالمنهج البنيوي؛ ذلك لأن آراءه أضحت من معالم الدرس البنيوي، هذه الآراء التي تتوزع على محاور العملية الإبداعية الثلاثة الرئيسة: المبدع، والنص، والمتلقي(٣).

كذلك يُعد رومان جاكبسون Roman Jakobson الذي التحق بعد ذلك بمدرسة (براغ)، وهو أحد رواد البنيوية المؤثرين أو كما يقول صلاح فضل: "يلخص بعض الباحثين تاريخ نشأة البنائية وتشكلاتها المختلفة في شخصيته ومغامرته العلمية، ابتداء من مطلع شبابه في موسكو، حتى تخرج على يديه أجيال من الباحثين في أوروبا وأمريكا، وأصبح الحجة الأولى والمرجع الأخير"(٤).

(١) نظرية النقد الأدبي الحديث، د. يوسف نور عوض، دار الأمين، مصر، ط١، ١٩٩٤م، ١٦.
(٢) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب ــ سوريا، ط١، ١٩٩٣م، ١٠ وما بعدها.
(٣) نظرية البنائية، صلاح فضل، ١٤٥.
(٤) المصدر السابق، ٧٥.

وقد عمد إلى رسم بياني كامل بيّن فيه عوامل التواصل الكلامي بتوزيع المرسل والمرسل إليه، الذين يعدهما من أهم عناصر التواصل الستة في الوظائف اللغوية[١]، وفق المخطط التالي[٢]:

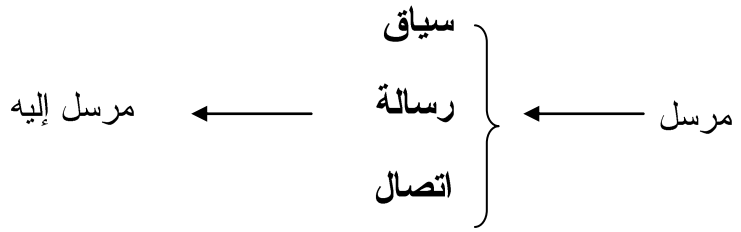

وقد كان السبّاق بلفظة (البنيوية) كمنهج نقدي"[٣].

أما لكود ليفي شتراوس CL. Levistrauss (١٩٠٨)، فيُعد زعيم البنائية الفرنسية، ومؤسس البنائية الأنتثروبولوجية[٤]، حيث عمم مفهومه عن البنية على جميع فروع المعرفة البشرية، وتوسع في نظرته البنائية لتشمل الكون بأسره؛ لأنه يرى أن البنيوية مجرد منهج يمكن تطبيقه على أي نوع من الدراسات[٥].

---

(١) نظرية النقد الأدبي الحديث، د. يوسف نور عوض، ١٦، الأسلوبية، جورج مولينيه، ترجمة: د. بسام بركة، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٥.

(٢) قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م، ٢٧.

(٣) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م، ١٨.

(٤) الأنثروبولوجيا: دراسة مختلف جوانب البشر في المجتمعات الماضية والحاضرة، وتأثير اللغة على الحياة الاجتماعية.

(٥) للاستزادة، يراجع:
ـ عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ٣٥.
ـ الإنثروبولوجيا البنيوية، لكود ليفي شتراوس، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣م، ٤٥٢ وما بعدها.
ـ الجذور الفلسفية البنائية، فؤاد زكريا، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٦م، ١٤، ١٥.

وقد اتخذ المفكر ميشيل فوكو Michael Foucault (١٩٢٦ــ١٩٨٤م) من المنهج البنيوي أساسًا للربط بين دراسة التاريخ ونظرية المعرفة، وانطلق في رؤيته للتاريخ من تعريفه للبنيوية بأنها مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيرة، وأن هذه العلاقات يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر له من النماذج؛ لذلك رأيناه يرفض آراء العديد من البنيويين حول استقلالية الخطاب وانغلاقه، وتحديد الخطاب بالمستوى الأبستمولوجي[١] الثقافي الضيق، ويرى أن الخطاب بنية إدراكية لا شعورية ذات طابع فكري خالص، تنمو وتتطور وفق نظام داخلي خاص، وهو وسيلة لقوة[٢].

وكذلك الفرنسي (جان بياجيه)، الذي جعل للبنية ثلاث خصائص لابد أن تتسم بها هي: الكلية والتحول والتنظيم الذاتي.

الكلية، فتتكون البنية من عناصر داخلية خاضعة لقوانين النسق. والتحول، وهو سلسلة من التغيرات الباطنة تحدث داخل النسق. والتنظيم الذاتي في منتظم البنية نفسها لتحفظ لها وحدتها، وتساهم في طول بقائها[٣].

وكذلك للناقد الفرنسي (رولان بارت) إسهامات في البنيوية، ولكنه في آخر عمره انتقدها، ونأى عنها إلى التفكيكية[٤].

---

(١) كلمة الإبستمولوجي مشتقة من نظرية المعرفة وكيفية الحصول عليها، وهي فرع من فروع الفلسفة.

(٢) يقصد بالقوة: المعتقد أو الأيدولوجيا، ويكتسب الخطاب قوته من خلال قوة وهيمنة الشريحة أو الطبقة التي تتبناه. (ينظر: عصر البنيوية، إديث كروزيل، ٢٩٠).

(٣) ينظر: الأنثروبولوجيا البنيوية، ٤٥٣.

(٤) تفكيكية: منهاج أدبي نقدي ومذهب فلسفي معاصران ينحوان إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل للنص، القارئ يفكك النص ويعيد بناءه وفق لآليات تفكيره.

وهذه الرؤى والانتقادات أصبحت حافزًا على ظهور مدارس وتيارات مستقلة[١]، ترى في نفسها القدرة على الإغناء عن البنيوية وشكلانيتها وتعسفها في التحليل.

٢ــ نظرية البنيوية الأمريكية:

نشأت البنيوية الأمريكية في استقلال تام عن البنيوية الأوروبية والتفكير السوسيري، وجاءت لتحل مشاكل متعلقة بعلم لغات الأجناس وتواصلهم، ويتمثل هذا "في إيجاد منهج لدراسة لغات القبائل الهندية الأمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية"[٢]. ويُعد إدوارد سابير E. Sapir (١٨٨٤ــ١٩٣٩) أحد أبرز روادها وهو ممن يعطون أهمية كبرى لمفهوم الصورة أو الشكل[٣]. فهو يرى أن للغة مجموعة وحدات أو بنيات أو رموز، غير أنه لا يهمل الجانب الوظيفي ــ مثل البنيويين الأوروبيين الذين سبقوه ــ في اللغة برغم احتفائه بالبنية أكثر من الوظيفة، فنجده يصرح دون اهتمام خاص متمثل في التنظير أو النقد بأن الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل، يقول: "إن اللغة وسيلة لا غريزة خاصة بالإنسان، يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية"[٤].

(١) سوسير والألسنية، محمد الشاوش، ١٧.
(٢) اللسانيات الوظيفية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، عبدالقادر المهيري، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط٢، ١٩٩٠م، ٣٩.
(٣) مبادئ اللسانيات البنيوية، طيب دبة، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠١م، ١٤٠، ١٤١.
(٤) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، ٢٦.

ومن النظريات البنيوية الأمريكية التي ذاع صيتها النظرية التوليدية التحويلية[١] لـ(نعوم تشومسكي) Noam Chomsky، عالم البنية التحويلية التوليدية، وهي من النظريات التي ترى إمكانية دراسة اللغة باعتبارها بنية مجردة دون النظر إلى وظيفتها، بل بمعزل عنها[٢]، ومنذ ذلك الحين تغيّر اتجاه علم اللغة من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد؛ "لأنه قوّض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة"[٣]، ثم هي لم تراع الواقع النفسي للمتكلم ولا سياق الحديث "واعتبرت اللغة مجرد نشاط عقلي"[٤].

والبنيوية الأمريكية بقدر ما اعتبرها كثير من الباحثين لا تُمت بصلة لأفكار دي سوسير[٥]، يقرّ آخرون بأنها ترتبط بسبب أو بآخر بالفكر السوسيري؛ ذلك لأن دي سوسير المؤسس الحقيقي للبنيوية الحديثة[٦]، وإليه "يرجع ما أطلق عليه اسم الألسنية البنيوية عامة"[٧].

ـ البنيوية في التراث العربي:

قراءة التراث اللغوي العربي شغل اهتمام الدارسين، مما أوعز مجموعة من الباحثين المقارنة والربط بين جهود اللغويين القدامى والأسس

(١) المصدر السابق، ٢٦.
(٢) السابق، نفس الصفحة.
(٣) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، ١٩٨٨م، ١٠٩.
(٤) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر والألسنية، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد الثاني، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ٧٠.
(٥) اللسانيات الوظيفية، عبد القادر المهيري، ٣٩.
(٦) البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، عمر مهيبل، ٢٠١٠، ٢٠.
(٧) سوسير والألسنية، محمد الشاوش، ٥.

التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية، محاولين توضيح أوجه الاتفاق بينهما، واعتماد الأساس العقلي في تفسير الظاهرة اللغوية في التراث اللغوي عند العرب.

ومن أبرز الباحثين المتأثرين بهذا المنهج:

عبدالرحمن الحاج صالح[١]، ونهاد موسى[٢]، وعبده الراجحي، الذي يقول: "حين عاد اللغويون إلى اعتبار (العقل) الإنساني مصدرًا ضروريًا من مصادر الدرس اللغوي، وظهر منهج جديد لا يزال يتطور كل يوم، وهو ما يُعرف الآن بالمنهج التحويلي"[٣].

عملت مجموعة أخرى من الباحثين بتطبيق النظرية التحويلية التوليدية على بعض أبواب اللغة العربية، ومن أبرزها:

- محاولة محمد الخولي الذي طبق فيها نظرية فيلمور، والتي عُرفت بـ(قواعد الحالة الإعرابية)، التي يُقصد بها مجموعة المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار بعض الأحكام المختلفة، عما يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما ومن يقع عليه حدث ما وما الذي حدث؟، ومتى وقع هذا الحدث؟، وغيرها من التساؤلات العلمية.
- حاول مازن الوعر الإفادة من جهود اللغويين العرب القدماء ومن اتباع النظرية التوليدية التحويلية، وتأثر بشكل خاص بفرضية العالم الأمريكي (ولتر كوك) من أجل تفسير الظاهرة اللغوية تفسيرًا دلاليًا وبخاصة أقرّ بتجاوز النحاة العرب لبعض وجوه الدلالة، ومَثّل لهذه المحاولة في

(١) في مقالاته في (مجلة اللسانيات).
(٢) في كتابه (نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث).
(٣) النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، ٥.

كتابه: (نحو نظرية لسانية حديثة) مهدّ لدراسته ببيان أن التراكيب في العربية قسمان: التركيب الإسمي، والتركيب الفعلي، ورأى أن المسند، والمسند إليه، والوصلة، تمثل حجر الأساس في النظرية العربية للتراكيب(١).

ومن الباحثين الذين كان تأثرهم واضحًا بنظرية (تشومسكي): ميشال زكريا(٢)، الفاسي الفهري(٣)، خليل عمايرة(٤)، محمد عبد اللطيف حماسة(٥)، عبدالحميد السيد(٦)، حليمة أحمد عمايرة(٧)، عبد الرازق دواري(٨)، حسام البهنساوي(٩)، سمية المكي(١٠)، وغيرهم كثير.

ملامح التجديد في المنهج:

حاول اللغويون العرب المحدثون إعادة طرح التفكير اللغوي التراثي على صعيد الدرس اللساني الحديث، وقد ذهب بعضهم إلى إعادة قراءة

(١) نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ٣٢.
(٢) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٦م، ٣٣.
(٣) اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، منشورات عويدات، بيروت، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٦م، ٦٨.
(٤) في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ٢٠.
(٥) الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م، ٥.
(٦) دراسات في اللسانيات العربية وبنية الجملة العربية ــ التراكيب النحوية والتداولية ــ علم النحو والمعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن.
(٧) الاتجاهات النحوية لدى القدماء: دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ٢٠.
(٨) مدخل إلى النحو التفريعي، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م، ٨.
(٩) نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ٥.
(١٠) الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ١٦.

النص التراثي وفق ما تقتضيه الآليات اللسانية الحديثة، مقيمين بذلك تواصلاً أبستمولوجيًا بين الرؤى العربية التراثية وما أظهره الدرس اللساني.

والإجراء في هذا العمل يقوم على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية(١).

تكمن مسوّغات القراءة عند لسانيات التراث في الأخذ بمجموعات من المعطيات التي شجعت في ظهور هذا الاتجاه، ونجملها فيما يلي(٢):

- السّبق التاريخيّ والحضاريّ للعرب في مجال الدراسات اللغوية.
- العامل الديني: كان له بالغ الأثر في توجيه اللغويين العرب، فقد اهتدوا إلى أدق تفاصيل اللسانيات، وهم يرسون قواعد اللغة العربية، ويضعون قوانينها من خلال العمل اللغوي الجاد.
- الأصول التراثية للسانيات: معنى ذلك أن تأسيس اللسانيات كان المنطلق فيه التراث العربيّ، على نحو ارتداد تشومسكي إلى اللسانيات الديكارتية.

وفي الحقيقة تُعد دراسة التراث اللغوي وربطه بالتفكير اللساني الحديث عملية صعبة، خاصة مع ضخامة هذا التراث، وتشعب آرائه، واختلاف توجهات اللغويين، وبنائه على أسس فكرية مختلفة، ومن ثمّ دعا ميشال زكريا إلى تضافر جهود اللسانيين العرب لتغطية عدد كبير من

(١) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ إسماعيل العلوي، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٩م، ١٣١.
(٢) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ١٣٢.

المساحة التي خلفها هذا التراث من أجل دراسة أهم القضايا المتطورة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثمة ربطها بالتراث اللغوي العالمي(١).

وعليه يقسّم مصطفى غلفان القراءة التراثية باعتبار هدفها المنشود إلى ثلاث قراءات أساسية، وهي(٢):

- قراءة تحاول تأسيس مكانة الفكر اللغوي العربي في إطار الفكر اللغوي العام، وسمّاها قراءة تفاعلية.
- قراءة تنوّه بالتراث اللغوي العربي وتضعه فوق اللسانيات الحديثة، وسمّاها قراءة تمجيدية.
- قراءة هدفها تخليص النحو العربي من كل ما يتعلق به من شوائب كالتجريد والتعليل والحذف والعامل.

ومع ذلك فقد خضعت الدراسات اللسانية العربية الحديثة إلى الكثير من التصنيفات التي يمكن القول بأن أشملها تصنيف مصطفى غلفان؛ لأنه وضع وحدد معايير تصنيف هذه الكتابات اللسانية، وحصر هذه المعايير في:

١ــ الغاية أو الهدف من الدراسة.

٢ــ موضوع هذه الدراسة: أهو تراثي أم حديث أم أنه مزيج بين الاثنين.

٣ــ المنهج المتبع في هذه الدراسة(٣).

---

(١) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م، ٩.
(٢) اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان، ١٣٧ــ١٣٩.
(٣) المصدر السابق، ٩٠، ٩١.

وهذه المعايير ترتبط فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، حيث نخلص في النهاية إلى التصنيف أو التقسيم نفسه، ويمكن ترجمة ذلك من خلال ما يلي:

الكتابة (الصنف)	الموضوع	المنهج	الغاية
ـ كتابة تمهيدية	ـ النظريات اللسانية: أعلامها، قضاياها ومباحثها...	ـ تعليمي.	ـ تحبيط المعرفة اللسانية.
ـ لسانيات التراث	ـ التراث اللغوي العربي	ـ القراءة وإعادة القراءة	ـ مقارنة التراث بالفكر الحديث.
ـ لسانيات عربية	ـ ظواهر من اللغة العربية.	ـ لساني حديث (تاريخي، وصفي، تقابلي).	ـ وصف اللغة العربية.

ولا تختلف التصنيفات الأخرى في مضمونها عن هذا التصنيف كثيرًا، حيث تكاد تجمع على أن الكتابات اللسانية العربية الحديثة إما كتابات لسانية تمهيدية تُعرِّف باللسانيات واتجاهاتها وأعلامها، أو لسانيات تراثية تتخذ التراث اللغوي العربي موضوعًا لها، أو أنها لسانيات عربية تتخذ ظواهر من اللغة وتدرسها.

ـ بين البحث اللغوي العربي والألسنية البنيوية:

ليس من شك في أن الدراسة اللغوية العربية كانت قد اتخذت (المنهج الوصفي) طريقًا لتصنيف نتائجها على الشكل الذي وصل إلينا من النحاة الأوائل: كالخليل (ت١٧٧هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ)، والكسائي (ت١٨٩هـ)، ومن عاش قبلهم، ومن جاء بعدهم بقليل.

ولقد كان همَّ هؤلاء اللغويين المتقدمين أن يجمعوا النماذج من نصوص اللغة، فينظرواْ فيها ويستقرئوا تراكيبها، ويلاحظوا علائقها مع بعضها، ليضعوا بعد ذلك ما يتفق في البناء والتركيب بعض إلى بعض، مصطلحين على كل نوع من أنواع التصنيف اسمًا معينًا، وذلك بحسب علاقته بسائر الكلمات الأخرى في داخل التراكيب، فالفاعل سُمي (فاعلاً)؛ لقيامه بالفعل أو الحدث، والفعل سُمي (فعلاً)؛ لكونه دالاً على العمل أو الحدث مقترنًا بزمن، والمفعول سُمي (مفعولاً)؛ لكونه فعله الفاعل، أو وقع عليه الفعل ... وهكذا.

ولو حاولنا إيجاد الصلة بين هذا المنهج في الدرس اللغوي العربي المتقدم والدرس اللغوي في المنهج اللساني الأوروبي الحديث، الذي تزعمته جماعة البنيويين في أوروبا، رأيناها واضحة في الأسس التي قام عليها المنهج البنيوي الذي ظهر بدراسات فرديناند دي سوسير المنشئ الحقيقي للمنهج المذكور(١).

لقد قام هذا المنهج على مفهومين اثنين هما أساس الدراسة الوصفية، وهما: أ) الوصف ، ب) التصنيف.

وكان هذا المنهج قد أُبْعد عن طريقة النظر في أوليات اللغة المدروسة وتأريخها وتطورها، وعلاقتها بتأريخ الناطقين بها، ونظر إليها على أنها شكل وبناء ثابت آلي غير متغير، فوصف لذلك بأنه صوري شكلي؛ لأنه ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة داخل أية لغة، ثم يصنفها على أساس

(١) مشكلة البنية ــ أضواء على البنيوية ــ د. زكريا إبراهيم، مصر، القاهرة، ١٩٧٦م، ٤٧، ٤٨.

معين، كما يصف العلاقات القائمة بين كلماتها في تراكيبها المختلفة وصفًا موضوعيًا[١].

هذه الخطوات هي نفسها التي حدثت عندما تجرد اللسان العربي لدراسة اللغة، فكان بحق يمثل باحث اللغة المعاصر يدرس اللغة كما يدرس ظاهرة من الظواهر الاجتماعية بالملاحظة والاستقراء ثم التقعيد.

والذي يهمنا من هذا التقديم أن المنهج الذي سلكه المتقدمون سواء من العرب أم من غيرهم كان منهجًا وصفيًا، وهو منهج أقره البنيويون، وبنواْ عليه دراستهم اللسانية.

ـ التحليل البنيوي على ضوء النظام اللغوي (Linguistic System)، **واتجاهات البحث**:

لابد أن يتم التحليل على ضوء التنظيم الذي يسجل الجانب الصوتي والصَّرفي المرتبط أشد الارتباط بالتركيب البنيوي الثقافي، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين بقوله: "إنها صفة ذات وظيفة لغوية في تركيب الجملة تقوم بدوره وحدة من وحدات المعجم ويصلح لأن تفرد أو تحذف ... وترجع في مادتها غالبًا إلى أصول ثلاثة تلحق بها زوائد"[٢].

"إن المنهج الحديث يرتضي اتجاهين في البحث اللغوي، ويفرق بينهما جذريًا:

---

(١) علم اللغة، د. محمود السعران، مصر، سوريا ـ حلب، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٤م، ٢٢٥.

(٢) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م، ١٣٢.

الاتجاه الأول: هو الاتجاه التاريخي، الذي يرصد تغير الظواهر اللغوية من عصر إلى عصر، فيختار من هذه الظواهر واحدة ويتتبع سيرها في تطورها على مر العصور، وقد تكون هذه الظاهرة مما ينتمي إلى حقل البُنى فتكون الدراسة لتطور البنية.

والاتجاه الثاني: هو الاتجاه الوصفي، وهو لا يقتنع بالظواهر المنعزلة... إنما يتناول النظام كاملاً متجانسًا في مرحلة بعينها ليصف تركيبه وعلاقاته الداخلية ... وليصف مكوناته تصنيفًا يُغني عن المفردات غير المطردة السلوك"[(١)]، ومن هنا يأتي دور التنظيم اللغوي؛ لأن اللغة كما هو معلوم عرضة للتغيير والانفعال نحتًا وإبدالاً وقلبًا، ومن ثَمَّ فإن للتنظيم اللغوي دوره في إفراد مضامين التركيب. فالدراسة البنيوية تتطلب الدقة والوضوح والمنهجية في تحديد الإطار لتنظيم وترتيب المفردات والعبارات على هذا المفهوم، فقد أكد هذا الأمر قول أحد الدارسين:

"وكذلك الأمر حين تنفرد العلاقات الصّرفية بين الكلمات ومعانيها بالوجود، فلا تكون هناك وظائف ولا مقام، إنّ مجرد وضوح هذه العلاقات لا يؤدي إلا إلى فهم للكلمات المفردة على المستوى المعجمي؛ إذ إنها هنا لمْ توضع في سياق ووضوح معاني المفردات لا يكشف حتى عن المعنى الحرفي"[(٢)].

نفهم من هذا النص أن هناك دورًا آخر لفهم المعنى يكمن في انفراد العلاقات، وأن العلاقة لا تأتي بمفردها، وأنها تكتسب قيمتها من خلال

(١) الأصول: دراسة سيميولوجية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٠٢، ١٠٣.
(٢) اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ ٣٣٧.

الدرس المتكامل، وهو الدرس البنيوي، وأكثر ما يظهر ذلك في علاقة التركيب.

"إذا كان النحو صناعة فهو بالضرورة بنية مجردة ذات علاقات داخلية عضوية، وإذا كانت المعرفة تكتشف بمداومة الإطلاع، ويتوقف الوصول إليها بتوقف هذا الإطلاع، فإن الصناعة تكتسب بالتدريب حتى تصبح ملكة في النفس تمكن بالتطبيق المستمر"(١). ولمَّا كانت الكلمات التي لا معنى لها، بل هي أدوات نحوية تتبع النحو الوظيفي، فإنها تصنف نوع الوظيفة التي تناط بها، وهي ذات نمطين:

الأول: الجانب الكمي. الثاني: الجانب الكيفي.

يظهر ذلك في علاقة التركيب وخاصة في أدوات الربط بالتركيب الصرفي (المورفولوجي) في الضمائر، وأدوات العطف، "ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صيغة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى"(٢). فالدراسة البنيوية تدرس العلاقات من خلال التحليل مع مراعاة المقام والجانب الوظيفي المعجمي، كما في مثال الاستثناء من قول السكاكي: "وإلا في الاستثناء إذا تقدمها كلام عارٍ عن النفي والنهي والاستفهام، ويسمى موجبًا، وفيه المستثنى منه، ويسمى تامًا، والموجب في الاستثناء لا يكون إلا كذلك، نصبت كنحو: جاءني القوم إلا زيدًا ..."(٣).

(١) الأصول: دراسة سيميولوجية، ٦١.
(٢) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ ، ٦٧.
(٣) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف السكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت ــ لبنان، ٥٠.

على الرغم من أن زيدًا منصوب فإنه فاعل، وبذلك يكون لدينا فاعلان أولهما: القوم وهو فاعل إعرابًا ظاهرًا، أما زيد، فإن عدم الحضور دلالة على الفاعلية والمعنى: ما حضر زيد(١)، كما أن شرط المفعول لم يقع عليه وهو منصوب من حيث الموقع الإعرابي، ووضع أداة الاستثناء دلالة على النص "ويجوز قطع الصيغة المعلوم موصوفها حقيقة أو إدعاء رفعًا بتقدير: هو، ونصبًا بتقدير: أعن أو أمدح أو أذم أو أرحم"(٢).

وإلى مثل هذا ورد في مفتاح العلوم، قول السكاكي: "وإذا وصف المبنى على نحو لا رجل ظريف جاز فتح الوصف كما ترى ونصبه ورفعه ..."(٣). هذه رؤية النحاة من خلال دراستهم للغة(٤).

فالنعت من التوابع "إلا أن الفضلات قد تكون جملاً مؤلفة من مسند ومسند إليه كالحال والنعت نحو: (جاء محمد وهو مسرع)، (ورأيت رجلاً كبيرًا يحرث أرضه)، فجملة (وهو مسرع) حال، وجملة (يحرث أرضه) نعت، ولَمْ يمنع ذلك تأليفهما من مسند ومسند إليه"(٥).

ويؤكد ذلك القول هذه المقولة: "واللغة ظاهرة على جانب كبير من التقعيد والتنوع، فالجمل أو التركيب أو الأبنية التي تؤلف نسيجها لا حصر لها وتتنوع على درجة عالية من التنظيم"(٦).

---

(١) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٤، (باب الاستثناء)، ٣٤٠.
(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ٣١٦.
(٣) مفتاح العلوم، ٥٤.
(٤) أوضح المسالك، ٣١٦.
(٥) الجملة العربية ــ تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٨.
(٦) مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر، بيروت، ٤٠.

نفهم من هذا مدى وضوح الدرس البنيوي، فدراسة العناصر المتداخلة في إطار التنظيم يتمثل فيها التكامل بين عناصر التركيب.

أما الروابط: (أو، وبل، ولا، ولكن) فوجودها في التنظيم البنيوي يجعلها تدل على تخالف بين المعطوف والمعطوف عليه، ويجعل اتجاه كل منهما مخالفًا لاتجاه الآخر(١).

يقول السكاكي: "بل للإضراب في العطف عن الأول موجبًا أو منفيًا كنحو: جاءني زيد بل عمرو بإفادة مجيء عمرو، وما جاءني بكر بل خالد بإفادة مجيء خالد تارة ولا مجيئه أخرى"(٢).

ويقول أيضًا: "ولا تأتي نافية في العطف لما وجب للأول كنحو جاءني زيد لا عمرو"(٣). "ولكن للاستدراك بعد النفي في عطف المفرد كنحو ما جاءني زيد لكن عمرو، وفي عطف الجملة بعد النفي وبعد الإثبات كنحو ما جاءني زيد لكن عمرو قد جاء وجاءني زيد لكن عمرو لم يجئ"(٤).

ويلاحظ في النصوص السابقة أن السياق لا يكون منعزلاً بل متداخلاً، ويتكون التنظيم من عناصر تركيبية جزئية، يتصل الواحد فيها بالآخر اتصالاً عن طريق العلاقات المتداخلة غير المباشرة (اعتباطية)(٥).

---

(١) ينظر: علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للطباعة، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٣٠.
(٢) مفتاح العلوم، ٥٨.
(٣) السابق، ٥٨.
(٤) السابق، ٥٩.
(٥) تقوم الاعتباطية على تفسير العلاقة اللغوية المتمثلة في العلاقة بين الدال والمدلول، والتي يفسرها سوسير بأنها علاقة غير طبيعية (محاضرات في اللسانيات العامة، دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ٨٧).

وعندما يقال: "اللغة أصوات"[١] بمعنى أنها تنظم في علاقات، فالعلاقات فيما بعد تربطها قرائن تأخذ معناها من سياق الكلام والمقام، "التنظيم الذاتي لابدّ من أن يتجلى على شكل إيقاعات وتنظيمات وعمليات، وهذه كلها عبارة عن (آليات بنيوية) تضمن للبنيات ضربًا من الاستمرار أو المحافظة على الذات"[٢].

ويعني ذلك أن البنية (الصفة) لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق، بل هي تصل دائمًا من (التغيرات) ما يتفق مع الحاجات المحدودة من قبل علاقات النسق اللغوي، "البنيوية ليست بأي حال من الأحوال (فلسفة)، إنما هي مجرد منهج للبحث العلمي"[٣].

(١) الخصائص (المقدمة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤.
(٢) قضية البنيوية ــ دراسة ونماذج، عبد السلام المسدي، وزارة الثقافة، تونس، ط١، ١٩٩١م، ١٤، ١٥.
(٣) مشكلة البنية ــ أضواء على البنيوية ــ ٣٥.

المبحث الأول

بنيويـــــة الصـــــــوامت

من الواضح لدى المشتغلين باللسانيات الحديثة بشكل عام أن اللغــة، أي لغة تشكل نظامًا لغويًا، وهي تسير وفق قواعد وأصول ثابتة لا تتغيــر، وهذا النظام له مستويات،هي: المستوى الصــوتي، والمســتوى الصــرفي، والمستوى النحوي، و المستوى الدلالي، وترتبط هذه المســتويات ببعضــها بعلاقات لا تكاد تنفصم، وذهب لمثل هذا الدكتور محمــود الســعران حــين تساءل عن نوع التجريدات التي يقوم بها علم اللغة في سبيل دراسته، فقال: "من المسلّم به أنه لابد لعلم اللغة، كما أنه لابد لأي علم، مِــنْ أنّ يُفْــرد أو يَعْزِل أو يُجَرّد شيئًا ما ليدرسه، وماهية اللغة توجب أن يكون ثمة أكثر مــن مستوى للدراسة، فاللغة من حيث كونها أصواتًا يدرســها علــم الأصــوات اللغوية، وله وسائله الخاصة، وتكوين الأصوات في مقاطع وكلمات وجمــل على أصول معينة يُدْرَسُ تحت اســم الموروفولوجيــا "وهــو مــا ســميناه المستوى الصرفي)، والنَّظم أي تحت اسم النحو، ودراسة اللغة مــن حيــث كونها تدل على معانٍ موضوعها علمُ الدلالة"(١).

ومن الضروري أن يفقه متعلم اللغة والناطق بها هــذه المســتويات، ويتمثلها تمثلاً جيدًا؛ لأنها تمثل مفتاح نجاح فهم علم اللغة العربية، وبخاصة العلاقة التي تربط المستوى الصــرفي بالمســتوى الصــوتي، حيــث ربــط تشومسكي بينهما، وأضاف بأن الأصوات تتحد فيما بينها أو ينتظم كل واحد منها بوسائل معينة على وفق مجموعة مــن الضــوابط الصــرفية: البنيــة

(١) علم اللغة ــ مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ١٩٦٢م، ٩٧.

والسوابق والدواخل واللواحق، فتصبح لكل مجموعة سماتها البنائية ومحتواها الدلالي لتشكيل الكلمة(١).

وقد تتشعب سبل هذا المستوى، إذا تتبعنا شتى التعليلات الصوتية لظواهر مختلفة المستويات اللغوية، فتختل بذلك مراحل العرض وأطواره المحددة في مقدمة الدراسة، وردًا لهذا، لابد من تحديد مجال البحث؛ لأننا نؤمن بأن "مبحث الأصوات هو منطلق جميع المستويات، والمجالات والموضوعات وإليه تعود"(٢)، فلا عجب إذًا حين تكون التعليلات الصوتية أهم ملمح تطوري في دراسة بنيات اللغة كما سنرى.

ـ جوانب الصوت اللغوي:

للصوت اللغوي جانبا دراسة: إفراد وتركيب، وفي كلٍّ تفريعات وتنويعات، ففي الإفراد (علم الأصوات Phonelque)، يدرس الصوت مستقلاً بمعزل عن السياق، من حيث المخارج والصفات.

أما في التركيب (علم الأصوات الوظيفي Phonologic)، فمن موضوعاته، قضايا تجاور الأصوات، ووظائفها، وتفاعل خصائصها، فيدرس التجانس، والانسجام، إضافة إلى شتى التلوينات الصوتية غير المقطعية وما لها من أثر في المعنى، وبيان هذه الجوانب كالتالي:

---

(١) البنُي النحوية، لنعوم تشومسكي، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد ماشطة، ط١، بغداد، ٧ــ٩.
(٢) البني النحوية، ٧ــ٩.

أولاً ـ مع الإفـــــراد (علم الأصـــوات):

ـ مخارج الأصـــوات:

حين نشرع في تتبع معالم دراسة الظواهر الصـوتية، تمثـل جهـود السكاكي (ت٦٤٦هـ) أمامنا جلية، ومن بين آرائه الكثيرة سأقف على نـص، أرى أنّه لابد أن ينالَ حقّه فيما قرأت.

يقول السكاكي: "... وعندي أنّ الحكم في أنواعها ومخارجها على مـا يجده كل أحد مستقيم الطبع، سليم الذوق، إذا راجع نفسه واعتبرهـا كمـا ينبغي، وإن كان بخلاف الغير لإمكان التفاوت في الآلات..."(١).

مناقشة النص وأثره:

الصوت المنطوق هو مادة اللغة الإنسانية، وهو يحدث أثنـاء خـروج الهواء من الرئتين، مرورًا بالحلق والفم والتجاويف الأنفية(٢)، فـإذا كـان خروجه حرًا طليقًا دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ودون أن يضـيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا، سُـمي الصـوت الخارج بالصائت (Vowels)، وهي حروف المد واللـين (الألـف والـواو والياء)، أما إذا حدث أثناء خروجه اعتراض أو عائق في مجـرى الهـواء سمي الصوت حينئذ بالصامت (Consonant)، وهي بقية حروف المعجم(٣)، ويسمى الموضع الذي يحدث فيه اعتراض لمجرى الهـواء أثنـاء محاولـة خروجه منه بالمخرج، فتشير كلمة المخرج إلى المكان الذي تعترض فيه آلة النطق مجرى النفس فتعدل في طريقة مروره من قفل تام للمجـرى يعقبـه

---

(١) مفتاح العلوم، ٦.
(٢) ينظر: أصوات اللغة، ٤٣، ٤٤.
(٣) علم الأصوات العام، د. كمال محمد بشر، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م، ٢١٧.

انفتاح أو تضييق ينتج من تقارب عضوين من أعضاء آلة النطق[١]، والمخرج جزء معين من آلة النطق ينشأ إلى النقطة المحددة أو يظهر فيها ويتميز. قال ماريو باي[٢]: "التميز بين أصوات اللغة... يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه وقوة إنتاجه،وفوق كل هذا على المخرج، وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه". فالمخرج اسم للموضع الذي ينشأ فيه الحرف، قال برجشتراسر[٣]: "المخرج أو المخُرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف"، ومصطلح المخرج[٤] من أكثر المصطلحات شيوعًا في تراثنا اللغوي، وقد كان الأقدمون يعبرون عنه بعدة معان[٥].

ولقد استهل السكاكي كتابه (مفتاح العلوم) بالدرس الصوتي[٦]، وكأنه قد أدرك أن دراسة أصوات اللغة هو المدخل الطبيعي والخطوة الأولى لدراسة اللغة بمستوياتها المختلفة، فقد استطاع هذا العبقري العربي أن يضع رسمًا توضيحيًا للجهاز الصوتي ليسجل لنفسه السبق في ذلك، حتى قال عنه الدكتور كمال بشر: "إنَّ واحدًا منهم (وهو السكاكي) هداه فكره وقادته لمَّا حيته إلى وضع رسم لجهاز النطق في مجمله بصورة متواضعة، ورسم

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم بدوي حمد، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م، ٧٩.
(٢) أسس علم اللغة، برجشتراسر، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، مطبعة المجد ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م، ٧٨.
(٣) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ١١.
(٤) المخرج، بضم الميم وتسكين الخاء وفتح الراء.
(٥) ينظر: العين ٥١/١، وسر صناعة الإعراب ٥٢/١، والكتاب ٨٥/١.
(٦) ينظر: مفتاح العلوم، ١٣.

متواضع تواضع زمن صانعه، ولكنه يحمل عبق الماضي المجيد بأصالته، ويفصح عن صدق واضعه وإخلاصه لحرفته"[١].

وفيما يلي الرسم التوضيحي لجهاز النطق الذي صنعه السكاكي[٢].

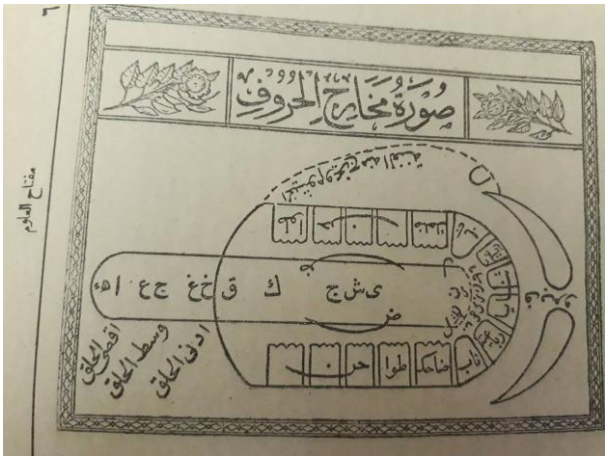

الأبعاد البنيوية عند السكاكي في النص السابق:

يفهم من النص السابق والرسم التوضيحي أن الكلام ميزة بشرية، مختص بها الجنس البشري دون سائر المخلوقات والمصنوعات، وقدرته على ذلك هي التي ميّزته بالتكلم، "مستقيم الطبع سليم الذوق"[٣]، وتغدو هذه الفكرة من صميم الفكر اللساني، حين نجد ديكارت يؤكد أن للغة ميزة بشرية مستدلاً بأن الآلات الدقيقة لا تستطيع "أن تركب الكلام بشكل متنوع الإجابة عن كل المعاني... كما في مقدور الإنسان الأكثر غباوة أن يقوم بذلك"[٤]، يصبح حينئذ فهم السكاكي لهذه الحقيقة أمرًا مقبولاً.

(١) علم الأصوات ١٤٣، ١٤٤.
(٢) مفتاح العلوم، ١٣.
(٣) راجع نص السكاكي من البحث ص٢٢.
(٤) الألسنية في علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ١٤.

ويظهر من نصّ السكاكي وديكارت، تقارب التمثيل، وتوّحد النتائج، إن اللغة ميزة بشرية، فالإنسان يستحق صفة الكلام لقدرته عليه، لا لأنه أنتجه، وفي هذا إشارة جلية لنظرية اللغة، فهي مكوّن من مكونات العقل، أولاها التوليديون عناية خاصة.

كما أن الدراسة البنيوية للصوت تظهر في ثنائية العلاقة بين الصوتين عند تحديد المخرج، وقد استوقفني نص آخر للسكاكي يدل أنه قد فطن لهذا العامل فأورد عبارة: "ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء"(١).

فقد اهتدى السكاكي إلى فكرة عزل الصوت عن بنيته ثم ذوقه؛ وذلك لمعرفة مخرجه وصفته، وهو ما يسميه علم الصوت الحديث دراسة الصوت على مستوى الإفراد (الفوناتيك) (Phonetics)، وقد استقرئ السكاكي ذلك من كلام العرب ويمكن ملاحظة ذلك من خلال النصوص الآتية التي ساقها سيبويه حيث قال: "كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو ياء غلامي، وباء اضرب، ودال قدْ، فأجابواْ بنحو ما أجابواْ في المرة الأولى، فقال: أقول: ابْ، ايْ، ادْ، فألحق ألفًا موصولة، قال كذلك أراهم صنعواْ بالساكن، آلا تراهم قالواْ: ابن واسم حيث سكنواْ الباء والسين وأنت لا تستطيع التكلم بساكن في أول اسم، كما لا تصل إلى اللفظ بهذه السواكن، فألحقت ألفًا حتى وصلت إلى اللفظ بها، فكذلك تلحق هذه الألفات حتى تصل إلى اللفظ بها كما ألحقت المسكن الأولى في الاسم"(٢). وظلت هذه الطريقة المتبعة عند العلماء، ولا نجد ما لا يعد جديدًا عند المتأخرين في معرفة المخارج؛ إذ حافظواْ على

(١) مفتاح العلوم، ٥.
(٢) الكتاب ٣/٣٢٠ (تحدثه عن كيفية اللفظ بالحرف الساكن).

عبارة القدامى، أما علماء اللغة المحدثون فينسبون صوت الفاء إلى الشفة والأسنان[١]؛ لأنهم درجواْ على نسبة الصوت إلى عضوين مشتركين من أعضاء النطق، وفيما يلي رسم توضيحي لأعضاء النطق عند المحدثين.

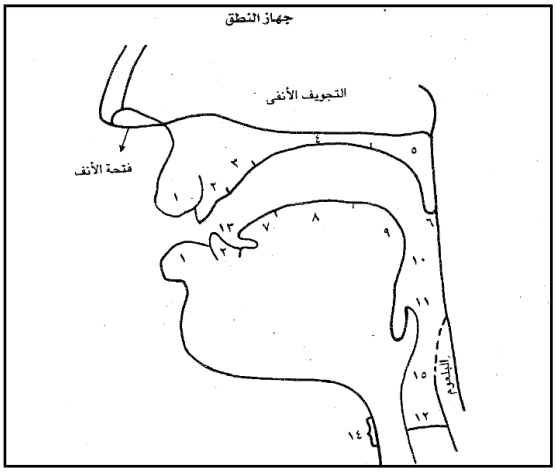

١ــ الشفاه.
٢ــ الأسنان.
٣ــ أصول الأسنان (ومقدم الحنك).
٤ــ الحنك الصلب (وسط الحنك).
٥ــ الحنك اللين (أقصى الحنك).
٦ــ اللهاة.
٧ــ طرف اللسان.
٨ــ مقدم اللسان (وسط اللسان).
٩ــ مؤخر اللسان.
١٠ــ الحلق.
١١ــ لسان المزمار.
١٢ــ موقع الأوتار الصوتية.
١٣ــ ذلق اللسان (نهايته).
١٤ــ منطقة الحنجرة (من الأمام).
١٥ــ القصبة الهوائية[٢].

(١) اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ ٧٩.
(٢) الرسم مقتبس من كتاب علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، ١٣٣، ١٣٤.

يقول السكاكي: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مخرج الطاء والدال والتاء ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والثاء"(١).

التحليل والبيان:

وقد "تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام"(٢)، فقد تؤثر أصوات الكلمة الواحدة بعضها على البعض، وتختلف نسبة التأثر من صوت إلى آخر، ويبدو أن السر في ذلك يعود إلى تقارب المخارج أو تباعدها، وهو أمر فطن إليه السكاكي، فقد استطاع معرفة الخصائص التركيبية أو ما يسميه علم الصوت الحديث (الخصائص الفونولوجية Phonology) لبنية الكلمة العربية، أو بعبارة أخرى، ما الذي يحدث عندما يوضع صوت مع صوت آخر في سياق معين؟ أراد السكاكي استنباط القوانين العامة التي تحكم علاقة هذه الأصوات بعضها ببعض في بنية الكلمة، وقد أدرك بسبب استقرائه للغة العربية أن لتقارب المخارج أو تباعدها دورًا مهمًا في تأثير الأصوات بعضها في بعضها الآخر، ومعرفة العملية العضوية التي تحدث في مؤخرة اللسان والطبق (الحنك اللين) ويمكن أن يستشف ذلك من خلال النص الآتي:

فصوت الدال يشبه صوت الطاء في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة، وذلك في حركة أعضاء النطق في مخرج الصوت عند طرف اللسان والأسنان، والحلق هو الذي يفرق بين صوت (الذال) وصوت

(١) مفتاح العلوم، ٥.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، ١٠٦.

(الظاء)، حيث لا يرتفع اللسان ولا يتراجع مع صوت الذال ارتفاعه وتراجعه مع صوت الظاء.

أما صوت (الثاء) فعند النطق به تكون عضلات الحنجرة وغضاريفها في حالة سكون؛ نظرًا لضعف الهواء أسفل المزمار، فلا يزاحم الهواء حينئذ عند فتحة المزمار ولا يزاحم عند مؤخرة اللسان والحلق؛ بل يكون مؤخر اللسان غير مرتفع ولا متراجع، والتضييق الذي يحدث في مجرى الهواء يكون عند طرف اللسان والأسنان، فيحتك الهواء بحواف المخرج احتكاكًا مسموعًا[١].

فهناك شيئان يفرقان بين صوت الثاء وصوت الظاء، وهما: حركة الوترين الصوتيين داخل الحنجرة مع الظاء وعدمها مع الثاء وحركة مؤخر اللسان في اتجاه الطبق والحلق مع الظاء، وعدمها مع الثاء، ويتفقان مع حركة طرف اللسان عند الأسنان حيث المخرج، وينسب المحدثون[٢]، أصوات هذا المخرج إلى الأسنان فيقولون عن كل صوت منها بأنه (أسناني)، فالدراسة البنيوية لهذه الأصوات تدخل في مجال التفخيم والإطباق وهذه العملية يقوم بها اللسان وهو النطق خلف الغار.

أما السكاكي فإنه يحدد مخرج هذه الأصوات بأنه: "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا"، وهو تحديد دقيق حيث إن الهواء يندفع من على سطح اللسان، ويحتك بالأسنان العليا. أما الأسنان السفلى فإن طرف اللسان يكون حاجزًا بينها وبين الهواء فلا يحتك بها.

---

(١) علم الأصوات، ١٧٦.
(٢) اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ ٧٩.

فالتحليق (Pharyngedigation) منطقة عملية التفخيم، ليست في الحنك اللين، بل نهاية الحنك الصلب. ولعل التفخيم يعتبر سياق صوتي، فالأصوات المتجاورة لصوت ما كثيرًا ما يؤثر السياق في الصوت اللغوي، فيؤدي إلى إطالته أو تقصيره ... تغويره أو تحليقه. "وقد يكون التفخيم سمة تمييز بين الوحدات الصوتية مثل الثنائيات الصوتية الصغرى التي تتشابه في معظم صفاتها، مثل: س: ص، ت: ط، ذ: ظ، د: ض. فالتفخيم هو السمة الأساسية لتمييز الأصوات المفخمة المطبقة (ص، ض، ط، ظ) عما يناظرها من أصوات تنطق مثلها إذا انعدم فيها التفخيم"(١).

ويؤكد الدكتور أنيس بقوله: "أما الظاء فهو صوت مجهور كالذال تمامًا، ولكن هذا الصوت يختلف عن الذال في الوضع، الذي يأخذه اللسان مع كل منهما، فعند النطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذًا شكلاً مقعرًا"(٢). فتحليل الطاء في الدرس البنيوي، أنه يحدث عندما يندفع الهواء بضغط ضعيف فلا يحرك الوترين الصوتيين، وعندما يصل الهواء إلى مؤخرة اللسان يصادف تضييقًا فيما بين الحلق والحنك اللين (الطبق) بارتفاع مؤخرة اللسان ورجوعها إلى الخلف، وعندما يصل إلى مخرج الصوت ينطبق طرف اللسان على الأسنان العليا واللثة انطباقًا محكمًا، يعقبه انفراج مفاجئ وسريع. أما مخرج التاء فيظهر لنا من خلال التحليل البنيوي عند النطق به تكون عضلات الحنجرة وغضاريفها في حالة سكون.

(١) علم الأصوات، ١١٩.
(٢) الأصوات اللغوية، ٥٠.

صفات الأصـــــوات:

وقد استوقفتني نصوص للسكاكي تدل أنه قد تنبه إلى أهم خاصية تميز الأصوات الصائتة من الصامتة، قال السكاكي: "ضـــعف تحمـــل الحركـــة أو الامتناع عنها كما في الواو والياء والألف، سميت معتلة"(١). ويقول أيضًـــا: "ومساق الحديث فيهما لا يتم إلا بعد التنبيه على أنواع الحـــروف التســـعة والعشرين ومخارجها"(٢).

التحليل والبيـــان:

قال بعض المحدثين في إنتاج الأصوات اللغوية(٣): "الأصوات اللغويـــة هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النفس الخارج من الرئة يعرض له فـــي الحنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض يضيق طريقه أو يقطعـــه، فـــلا يحدث الصوت إلا بعاملين، إحداهما النفس، وثانيهما العارض"، ومعنى ذلـــك أنَّ إنتاج الصوت اللغوي يحتاج إلى عاملين:

أحدهما: النَّفَس الذي هو تيار الهواء الخارج من الرئتين في اتجاه الفم.

والعامل الثاني: هو الاعتراض أو القطع.

وعلى هذا الأساس فإن أصوات العربية الأساسية تنقسم إلى:

١ــ صوائت (Vowels): وعدّها السكاكي، الواو والياء والألـــف وســـمّاها بالمعتلة.

---

(١) مفتاح العلوم، ٥.
(٢) المصدر السابق، ٥.
(٣) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراســـات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م، ١٩، ٢٠.

٢ــ صوامت (Consonant): وعددها تسعة وعشرون حرفًا وزعها على مخارجها.

وبدأ تقسيم الأصوات اللغوية إلى مجهورة ومهموسة، وأساس هذا التقسيم عنده هو: انحصار النفس أو جريانه، يقول السكاكي: "الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف والهمس جرى ذلك فيه"(١).

وأول ما نسجله، أن معيار الجهر عند السكاكي هو (انحصار النَّفَس) وليس (منع النَّفَس) كما ورد في تعريفات أتباعه(٢). والحصر في اللغة من: "حصره يحصره حصرًا ضيّق عليه وأحاط به"(٣)، ومن هذه الدلالة، يبدو أن (انحصار النَّفَس) في تعريف الجهر، أكثر إيحاء إلى تجمع النفس خلف عضلتين.

ولو اقتربنا من وصف المحدثين لعملية الجهر لتجلّت الصورة؛ لأن الجهر في تصوّرهم، يحدث عن "تقارب أو تضام الوترين الصوتيين بصورة لا تسمح بمرور تيار الهواء الصادر من الرئتين الذي يندفع خلال التجويف الحلقي بسرعة يستعرضه الوتران الصوتيان، ويفتحهما ويغلقهما بسرعة وانتظام مما يجعل الوترين يتذبذبان نتيجة اهتزازهما"(٤).

---

(١) مفتاح العلوم، ٥.
(٢) ينظر على سبيل المثال: تعريفات سيبويه (الكتاب ٤٣٢/٤، ابن جني (سر صناعة الإعراب ٧٥/١)، ابن يعيش (شرح المفصل ١٢٨/١٠).
(٣) لسان العرب (ح ص ر).
(٤) أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٥م، ١٥٨.

ويتضح ذلك في تعريفهم الصوت المجهور (volced) بأنه: "الصوت الذي يذبذب الأوتار الصوتية حال النطق"(١).

ودلت الدراسات الحديثة على أن "الجهر ينتج عندما تتحرك الأوتار تحركًا منتظمًا نتيجة لتوترها وقوة دفع الهواء، كما أن زيادة الضغط أسفل الحنجرة، تكون عاملاً في زيادة التردد في الموجة الأساسية للأصوات المجهورة"(٢)، كذلك أثبتت التجارب الحديثة (الفيزيائية) أن الأصوات المهموسة يكون معها ضغط الهواء أسفل الحنجرة مساويًا لضغط الهواء أعلى الحنجرة، أما الأصوات المجهورة فإن ضغط الهواء أسفل الحنجرة هو الذي يكون أقوى من الضغط أعلى الحنجرة(٣).

الاستنتاج:

مما سبق يتضح لنا أن السكاكي قد أحسّ بوجود ضغط قوي للهواء يصاحب نطق الأصوات المجهورة وعبر عنه بالانحصار، كما تدل العبارة على عبقرية هذا العالم العربي الذي استطاع أن يفرق بين الصوت المهموس والمجهور وأنه لم يتبع طريقة القدامى، وقد حذرت الدراسات الصوتية الحديثة من هذه الطريقة التي اتبعها القدامى، قال الدكتور إبراهيم أنيس مؤكدًا: "حين نضع الإصبع فوق تفاحة آدم ثم ننطق بصوت من الأصوات وهو ساكن ــ وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتى هذا إلا بأن تشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون مثل ــ (بْ) ــ ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل كما فعل القدماء من علماء

(١) الكلام ــ إنتاجه وتحليله، د. عبدالرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ٣٧٧.
(٢) المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(٣) التجارب الفيزيائية، محمد حلمي، مجلة اللسان العربي، الرباط ــ المغرب، ٢٢٤.

الأصوات؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة، فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات ــ نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورًا لا يحتمل الشك"(١).

ثانياً ـ علم الأصوات الوظيفي:

لا يختلف اثنان في كون الظواهر الصوتية، في مجملها تهدف إلى تحقيق مبدأ الاقتصاد في الجهد بتعبير المحدثين، وإقلال الكلفة في النطق بتعبير القدامى(٢)، ولما كان المعنى غاية التصويت، استُنطق منها ــ أي الظواهر ــ كل ما من شأنه أن يحمل دلالة أو يحققها؛ لتخرج بذلك عملية التعليل من حركة الأعضاء، وترددات الصوت بين المتكلم وسامعه، أو ما يسمى بالعلل اللسانية، إلى بواعث الدلالة وتنوعها.

ناقش السكاكي هذه الأمور، واعتمدت ذلك أمثلة من مفتاح العلوم، ومن نماذج الانتقاء، وفيما يلي بيان ذلك:

اعتبر تحقيق الاعتدال والانسجام في الأداء "الخيط السري الذي تنتظم فيه جميع العناصر الصوتية"(٣)، بحيث تتفاعل الأصوات في تجاورها، فيقرب هذا من ذاك، إبدالاً أو إدغامًا، وفي كلٍ تراعى مكونات الصوت، المخارج والصفات، والزمن والكميات؛ لذا نتناول في هذا الجانب مصطلحين صوتيين: الأول (التغيرات الصوتية)، ويتجلى في (الإبدال، والإدغام، والإعلال)، والثاني: (القوانين الصوتية)، ويتمثل في المماثلة، والمخالفة، والقلب

(١) الأصوات اللغوية، ٢١.
(٢) ينظر: الخصائص، لابن جني، ٧٥/١، ٦٣، ٦٧.
(٣) نظرية الأصالة والتفريع الصوتي في الآثار العربية، رفاس سميرة، رسالة دكتوراه في اللغة، جامعة وهران، ٢٠٠٧/٢٠٠٨، ٢٠٥.

المكاني). وقد رأينا أن الأول يمثّل الظاهرة التطبيقية العملية، والثاني يمثل القانون الذي يفسّر تلك الظاهرة، ويكشف طبيعة عملها وكيفية حدوثها.

الأول ـ التغيرات الصوتية في الصوامت(١):

تناول القدامى (التغيرات الصوتية) وعَرّفواْ بها، ولعل ما يلفت الانتباه في دراستهم أنهم عزو التغيرات الصوتية على اختلاف أنواعها وأشكالها إلى قانون السهولة والتيسير الذي يُعد نقطة الارتكاز الأولى في الدراسات اللغوية الحديثة(٢).

فلم يكتف السكاكي بدراسة الخصائص التركيبية للبنية العربية وتأثرها (بقرب المخارج أو بعدها)، وإنما ذكر بعض القوانين الصوتية والتي يسميها علم الصوت الحديث دراسة الصوت على مستوى التراكيب (الفونولوجيا Phonology) والتي وجدت بسبب تقارب المخارج، قال ابن سنان الخفاجي: "فأما الإدغام والإبدال فشاهدان أن التنافر في قرب الحروف ...؛ لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرارًا من تقارب الحروف، وهذا الذي يحبب عندي اعتماده؛ لأن التتبع والتأمل قاضيان مثلاً حدث بينهما شدّ وجذب وحاول كل منهما جذب صاحبه إليه"(٣).

---

(١) التغيرات الصوتية هي: كل ما يعتري التركيب الأدائي من تبدل أو اختلاف في الأصوات صوامت أو صوائت، والأول إما أن يكون تغيرات عامة، كالإدغام، والإبدال، والقلب المكاني، والحذف، وإما أن يكون تغيرات خاصة بصامت دون غيره كالتي تصيب الهزة والتاءات، والراءات، واللامات، والنون الساكنة والتنوين. (ينظر: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج بالقراءات، عبد البديع الفيرباني، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، سوريا ـ دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م، ١٠١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: العين للخليل، ١٩٧٧م، ١١/١، والكتاب لسيبويه، ط١، ١٤٤/٤، ١٤٥، والخصائص لابن جني، ط٢، ٨٨/٢.

(٣) سر الفصاحة، ١١٣.

وإذا أردنا دراسة التغيرات الصوتية عند المحدثين بموضوعية وتجرد لا يمكن إغفال دور المستشرقين من خلال الدراسات المقارنة بين اللغات السامية، وقسموا اللغات الإنسانية إلى مجموعات، تضم كل مجموعة عددًا من اللغات التي تجمع بينها قواسم مشتركة في كثير من الجوانب كالتشابه في المفردات والنحو والصّرف، وفي طرق التعبير وأساليب الكلام، ونهج العلماء في تقسيمهم للغات عددًا من الطرق التي من أهمها طريقة (القرابة اللغوية التاريخية)[١].

وهذه التحولات الصوتية جميعها، تلوينات صوتية، تناولها السكاكي، فيما عرضه من تمثيل وتعليل في موضوعات، ومواضع مختلفة، وسنورد بعض المفاهيم بأسلوب يبعدها عن التداخل، وتوضيح مقاصدها:

ـ التغير بالإبدال:

يُعد الإبدال من التغيرات الصوتية في اللغة، وهو يشبه الإعلال، لكن الإعلال خاص بأحرف العلة، والإبدال خاص بالأحرف الصحيحة. وقد جعل السكاكي الإدغام في تاء الافتعال جائزًا إذا كانت فاؤها؛ همزة، أو تاء، أو ثاء، أو سين، أو شين، أو واو، أو ياء، أو دالاً أو ذالً، أو زايًا، أو حرف من حروف الإطباق طاء أو صادًا، أو ظاء أو ضاد، ولهذه الأنواع جميعها شروط تقيدّها، وأحكام تحكمها، خصص لها جُلّ اللغويين القدماء، حديثًا مفصلاً في ثنايا مصنفاتهم، وهي ظاهرة تُعد نوعًا من المماثلة الصوتية،

(١) الساميون ولغتهم، د. حسن ظاظا، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م، ٢١، وقفه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، (د.ت)، ٣٣ــ٥٤.

يصل فيها التأثر الصوتي بنوعيه الرجعي والتقدمي إلى درجة فناء أحدهما في الآخر.

وهذه الأنواع يتسع حديث السكاكي عنها:

١ــ إبدال تاء افتعل[١]:

التغيّر في (تاء افتعل) له علاقة بفاء الكلمة.

١/١ إبدال تاء افتعل طاء: ويكون ذلك عندما تكون فاء افتعل أحد الحروف المطبقة المستعلية (الصّاد، الضاد، الطاء، الظاء)، وقد اعتمد السكاكي في تفسيره لهذه الظاهرة على أقوال القدماء مع عدم إغفاله المصطلحات الحديثة، يقول: "تاء الافتعال تبدل طاء إذا كانت الفاء مطبقًا كاصطبر وأطبخ واضطجع واصطلم"[٢].

ففي هذه الأمثلة تأثرت التاء وهي صوت يتسم بملمح الترقيق بأصوات الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، وهي أصوات يجمع بينها ملمح التفخيم، تأثرًا تقدميًا مما أدى إلى قلب التاء إلى مقابلها المفخم، والمقابل المفخم للتاء وهو صوت الطاء، وذلك من أجل تحقيق مماثلة صوتية في داخل البنية، بين الصوتين المتجاورين في ملمح التفخيم أو الإطباق"[٣].

---

(١) افتعل: والذي يحكمها قانون الإبدال وهو تحويل أحد حروف الكلمة إلى حرف آخر بحيث يختفي الأول ويحل الآخر محله سواء من حروف العلة أكان الحرفان أم من غيرها. (ينظر: المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الفرطوسي، د. عبدالجليل عبيد حسين، ط التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م، ٣١٢.

(٢) مفتاح العلوم، ١٠.

(٣) علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، ٢٩٩.

وهذا يعني أن الصوتين من مخرج واحد (أسناني لثوي)، والخلاف ينحصر في الترقيق والتفخيم، وفي الجهر والهمس، ومعروف أن هناك صعوبة في نطق الأصوات التي من مخرج واحد إذا تجاورت، كما أن صوت الضاد مفخم وصوت التاء مرقق، وهناك صعوبة في الانتقال المباشر من التفخيم إلى الترقيق، فحدث ما نسميه (المماثلة بالتفخيم)، فقلب صوت التاء طاء لتفخيمه. وهكذا اعتمد السكاكي على صفة القوة في تفسير هذه البُنى؛ لأن الضاد والطاء والصاد، تتسم بملمح التفخيم وهو ملمح قوة تجعله قادرًا على التأثير في غيره من الأصوات، والصاد إضافة إلى ملمح التفخيم، فإنها تتسم بملمح الصفير وهو ملمح قوة آخر يمنعها من أن تدغم في غيرها، علاوة على النداوة في السمع، ويعد هذا الملمح صفة قوة أيضًا في الصوت ترشحه للتأثير في غيره من الأصوات. وذكر ابن جني: أن علة انقلاب التاء طاء أو دالاً هو تقريب الصوت من الصوت وادناؤه منه وهو ما سماه بالتجنيس(١).

٢ــ إبدال تاء افتعل دالاً: تبدل التاء دالاً في صيغة (افتعل) إذا كانت فاء افتعل أحد الأحرف الثلاثة الآتية: (الدّال والذّال والزّاي):

يقول السكاكي في هذا الإبدال: "وإذا كانت بدل المطبق زايًا أو دالاً أو ذالاً أبدلت دالاً، كازدجر، وادان، واذكر"(٢).

يمكن إجمال أنواع المماثلة الواردة عند السكاكي على النحو الآتي:

١ــ إذا كانت فاء الفعل زايًا فإن المماثلة تقدمية جزئية في صفة الجهر نحو: زجر ← ازتجر ← ازدجر.

(١) ينظر: المنصف، لابن جني ٣٤٢/٢، ٣٢٥، والخصائص ١٤٢/٢.
(٢) مفتاح العلوم، ١٠.

٢ــ إذا كانت فاء الفعل دالاً فإن المماثلة تقدمية جزئية في صفة الجهر نحو:
دان ← ادتان ← ادّان.

٣ــ إذا كانت فاء الفعل ذالاً فهنا أكثر من مماثلة وهي على النحو الآتي:

اذدكر ← اذتكر ← اذدكر مماثلة تقدمية جزئية في صفة الجهر.

اذدكر ← ادّكر مماثلة رجعية كلية.

اذذكر ← اذّكر مماثلة تقدمية كلية.

وما جاء به السكاكي لا يختلف عما ورد عند المحدثين وما ذهب إليه في هذه الصيغة (اذكر) يحتاج إلى مشقة وعنت في فهم الصيغة، علاوة على أنه نفى المماثلة التقدمية؛ لأنه بنى رأيه على المماثلة الرجعية فقط، إضافة إلى أنه غلب الأضعف على الأقوى، فأراد تهميس المجهور، والجهر صفة قوة في الصوت وما حدث لا يؤيده البحث اللغوي الحديث؛ لأن الهدف من القلب المكاني كما يتضح، البحث عن السهولة النطقية، وأكثر ما يكون في اللغة المنطوقة.

إن ما حدث في هذه الصيغة يتضح من خلال الكتابة الصوتية لهذه البنية: اذتكر ← اذدكر

فالبنية الأولى وهي البنية العميقة تحولت هذه البنية بفعل عوامل منها: الذال صوت يتسم بملامح قوة تجعله قادرًا على التأثير في غيره من الأصوات، فهو يتسم بالجهر والصفير، فأثر في صوت التاء المتسم بالهمس،

فحوله إلى مقابله المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، فبهذا التماثل حدث انسجام صوتي في البنية من خلال التماثل في الصيغة(١).

وتؤيد الدراسات اللغوية الحديثة هذا الرأي، إذ تؤكد أن الأصوات الصفيرية تتميز بوجود ضجة ذات تردد مرتفع يتجاوز ٣٠٠٠ هيرتز، وتمتاز عن بقية الأصوات الاحتكاكية بارتفاع شدتها(٢).

لقد اعتمد السكاكي في تفسير هذا البدل على ما جاء عند القدامى ووافق المحدثون، إلا أنه لم يتعرض لهذه الصيغ إلى القوة الموقعية التي جعلت الدال المتسم بملمح الجهر يؤثر في مثليه في الصفة وهو صوت الذال.

فالقياس يقتضي أن تقلب التاء المهموسة إلى مقابلها المجهور وهو صوت الدال، كي يتحقق بذلك تماثل الصوتين المتجاورين ــ وهما الذال والدال ــ في الملمح، وهو ملمح الجهر، فيصبح التشكل البنيوي على النحو الآتي: اذتكر ← اذْدكر.

بيد أن هذا التشكل البنيوي غير جائز نظرًا لأن كل حرف يرغم الحرف الآخر على الانفصال، فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام(٣).

ويمكن أن تتم عملية الإدغام بإجراء أحد التشكيلين للبنية:

١ــ أن تدغم الذال في الدال، وذلك على قاعدة الأصل في الإدغام على حد قول القدماء اذتكر > اذذكر > ادّكر.

---

(١) الدرس الصوتي عند ابن عصفور، سعيد محمد إسماعيل علي، تحقيق: محمد جواد النوري، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ــ نابلس، ط١، ١٤٢٣هـ ، ١٩٤.
(٢) علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، ٢٩٨.
(٣) علم أصوات العربية، ٣٠١، ٣٠٢.

٢ــ أن تدغم الدال في الذال، بأن يدغم الآخر في الأول، وذلك خلافًا للأصل في الإدغام: اذتكر > اذدكر > اذّكر.

ويعلل لهذا التشكيل بما يلي:

ــ عدم وقوع أحد التشكيلين أو وقوع واحد منهما مع التشكيل البنيوي الأصلي وهو (اذتكر) خوفًا من ذهاب ملمح الجهر في الذال[١].

٣ــ إبدال تاء افتعل ثاء:

ــ إذا كانت الفاء ثاء كما في (اثتار):

ويذكر السكاكي هذا الإبدال بقوله: "وإذا كانت ثاء قلبت كل واحدة منهما إلى صاحبتها كاثار بالتاء والثاء"[٢].

وفي حديثه عن الإبدال في هذا المثال، وظف السكاكي مصطلح الهمسٍ، للتدليل على وجود علاقة وصفية بين الصوت المبدل والمبدل منه؛ لأنهما جميعًا من حروف الهمس، ويجمعهما قولك "حثْ شخص فسكت"، وهذا يعني أن التبدّلات الصوتية تنجز عن تجاور الصوت المهموس بما يناقضه من الصفات، وأن الغرض من الإبدال إحداث التقارب الصوتي فيحقق اليسر والخفة في نطق الألفاظ من خلال الطاقة الكلامية.

وفي هذه الحالة يرتفع اللسان مرة واحدة، وتحدث في أعضاء النطق نفس العمليات التي تحدث خلال نطق الإدغام، فأبدلت التاء ثاء، وحدث الإدغام، أو العكس.

٤ــ إبدال فاء (افتعل) تاء إذا كانت الفاء واوًا أو ياء:

---

(١) السابق، ٣٠٢.
(٢) مفتاح العلوم، ١٠.

ــ أن تكون الفاء واو: وذلك نحو (اوتعد) التي تصبح (اتعد).

ــ أن تكون الفاء ياء: وذلك نحو: (اتّسر) من (ايتسر).

وجاء مثل هذا الإبدال عند السكاكي، فقد نصّ على هذا بقوله: "الواو والياء غير البدل عن الهمزة فاء في باب الافتعال ثابتة تاؤه تبدل تاء كاتعد واتسر ويتعد ويتسر ومتعد ومتسر"(١).

(اتَّعَدَ) أصلها (اوتعد) حيث أبدلت الواو تاء، (اتَّسَرَ) أصلها (ايتسر)، حيث أبدلت الياء تاء، وأدغمت في التاء الأخرى، وتحقق الشرط ــ كما قال السكاكي ــ في الياء ألا تكون بدلاً من الهمزة؛ لأن الحرف اللين يشكل مع حركة همزة الوصل مقطعًا هابطًا (difftenqu) يصعب النطق به مع التاء، ويمكن أن نلاحظ أن صوتي الواو والياء من الأصوات المجهورة، في حين أن صوت التاء الذي وليهما في صيغة (افتعل) من الأصوات المهموسة وتواليهما في الصيغة يُحدث ثقلاً ظاهرًا فيها، لذا يمكن تعليل الإبدال تعليلاً صوتيًا؛ إذ بوقوعه يحدث الانسجام في الصيغة الجديدة وما يشتق منها بحسب قوانين المماثلة الصوتية(٢).

فصوت التاء في مثل هذه البُنى هو الذي يتسم بملامح قوة؛ وذلك لأنه انفجاري علاوة على أنه تحصن بالحركة في حين أن الواو لبسه السكون، والحرف الساكن حرف ميت كما نعته القدماء. فعمد الناطق إلى مثل هذا الإبدال للتخلص من الضعف، وليكن نطقهم من وجه واحد، وما يطبّق على الواو يطبق على الياء.

---

(١) السابق، ١١.

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، ٢٩٣، وشرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، ٦٨٦.

تعقيـــــــب:

أما القول في إبدال الواو أو الياء نحو: اتّعد، واتَّسر، من: الوَعد واليُسر، وقد فسرواْ هذه الأمثلة بقلب الواو أو الياء تأثر بفاء افتعل تفسيرًا بعيدًا عن الصحة لبعد ما بين التاء من جانب، والواو والياء من جانب آخر.

فالتاء صوت لثوي أسناني انفجاري مهموس (من الصوامت)، والياء صوت غاري انطلاقي مجهور انتقالي (نصف حركة)، وكل ما حدث هو أن اشتغال الواو والياء في هذا الموقع دفع النـاطق العربي إلى إسقاطهما وتعويض موقعهما بتكرار التاء، فالتاء هنا مجرد وسيلة تحقق الإيقاع اللازم لتيسير النطق بصيغة (افتعل) لا غير، وهذا ما يسمى بالتعويض الموقعي[١].

٥ـ إبدال تاء (تَفَاعَل وتَفَعَّل وتَفَعْلَل):

ـ إبدال التاء ثاء: اثاقل.

ـ إبدال التاء دالاً: ادارءواْ.

ـ إبدال التاء زايًا: ازين.

ـ إبدال التاء صادًا.

وفي هذا يقول السكاكي: "وههنا إبدالات تختص بباب الإدغام، كاسمع، واطير، وازين، واثاقل، وادارءواْ في: استمع، وتطير، وتزين، وتثاقل، وتدارءواْ، فتأملها أنت"[٢].

(١) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢١٠، ٢١١.
(٢) مفتاح العلوم، ١١.

ويجب أن ننبه هنا على ضرورة وجود علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين ليتم التأثير إبدالاً أو مماثلة، وهذه العلاقة ترجع إلى أساسين: الأول تقارب المخارج أو اتحادها، والثاني تباعد الصفات أو اتحادها(١).

الإعـــلال:

لم يتعرض السكاكي إلى تعريف الإعلال، وحروفه، وأقسامه، ولكن اكتفى بذكر أنواعه من قلب وحذف ونقل، وبيّن أحرف العلة، وهي: الألف والواو والياء، وأضاف إليها الهمزة.

وأشار عباس حسن إلى تعريف الإعلال بقوله: "تغيير يطرأ على أحد حروف العلة الثلاثة (و ــ ا ــ ي) وما يلحق بها ــ وهو الهمزة ــ بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف أو تسكينه، أو حرفًا آخر من الأربعة، مع جريانه في كل ما سبق على قواعد ثابتة يجب مراعاتها"(٢).

لقد عمد السكاكي إلى تفسير التغيرات والتبدلات بين أصوات العلة والهمزة الواردة في (مفتاح العلوم) بما يتناسب مع معطيات علم اللغة الحديث. ولبيان وجهة النظر البنيوية الحديثة عند علمائنا المحدثين لابد أن نتكئ على أمثلة السكاكي والتقسيمات القديمة لهذه القضية لتوافق ما جاء عند السكاكي من جهة، ولسهولة استخراج الفروق من جهة أخرى:

١ــ الإعلال بالقلب:

ويقصد بهذا الإعلال هو تحويل أحد الحروف الأربعة إلى آخر منها بحيث يختفي أحدهما ليحل محله غيره، طبقًا لضوابط محددة يجب الخضوع لها، ويشمل هذا الإعلال:

---

(١) المنهج الصوتي، د. عبد الصبور شاهين، ٢١٠، ٢١١.
(٢) النحو الوافي، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٠م، ٧٥٦، ٧٥٧.

ـ قلب الواو والياء همزة:

ذكر السكاكي الحالات التي يمكن أن تقلب فيها الواو والياء إلى همزة، ويمكن بيان هذه الحالات على النحو الآتي:

١ـ أن تتطرف إحداهما بعد ألف زائدة: نحو كساء وبناء وأصلهما كساو، وبناي على التوالي.

يقول السكاكي: "وهي (الواو) أو الياء أيتهما كانت تبدل همزة إذا وقعتا طرفًا بعد ألف زائدة كالدعاء والبناء"(١).

٢ـ أن تقع إحداهما عينًا لاسم فاعل لفعل أعلت فيه، نحو: قائل وبائع وأصلهما قاول وبايع.

يقول السكاكي: "إن اوقعتا في وزن فاعل كقائل وبائع"(٢).

٣ـ أن تقع إحداهما بعد ألف صيغة منتهى الجموع (مفاعل)، وشبهه، وقد كانت مدة زائدة في المفرد نحو: عجائز وصحائف.

يقول السكاكي: "وهي زائدة واقعة بعد ألف جمع تتوسط بين أربعة وكذا ... كرسائل وعجائز وصحائف، وبيائع، وسيائق، وأوائل ..."(٣).

ويبين لنا النسيج المقطعي والكتابة الصوتية للبُنى السابقة صحة ما ذهب إليه السكاكي، فالنسيج المقطعي للبنى السابقة على النحو الآتي:

قاول qaa/wil ، بايع baa/yic ، فهناك تقارب أو سلسلة تقاربية مكونة من الحركة، الطويلة + نصف الحركة + الحركة القصيرة. وهذا

(١) مفتاح العلوم، ١٠.
(٢) المصدر السابق، ١٠.
(٣) مفتاح العلوم، ١٠.

يؤدي إلى انفتاح القناة الصوتية، علاوة على أن نصف الحركة وقعت في بداية مقطع وهي ضعيفة، وبداية المقطع يحتاج إلى صوت قوي ونشاط عضوي، فعمد الناطق العربي إلى البحث عن صوت قوي فأتي بالهمزة؛ لأنها صوت قوي نبري. ويبدو أن سبب القلب في (عجائز) ناتج عن ضعف الواو والياء التي سرت بالخطوات الآتية:

عجوز ca/guuz ← عجاوز ca/gaa/wiz ← عجائز ca/gaa/aaz فقد قلبت الواو المدية في المفرد إلى نصف حركة في الجمع وقلبت نصف الحركة إلى همزة.

هذه مجمل حالات التغير الصوتي في مفتاح العلوم، جمعت أمثلتها وفق التقسيم الذي سلكته، وما يلاحظ: تركيز السكاكي على إدغام المتقاربين الذي أساسه الإبدال الصوتي، ليحقق التجانس الصوتي ولم يختلف الدرس الصوتي الحديث مع السكاكي في تعليل سبب وقوع الإبدال أو الإدغام بـ(التقارب في المخارج والصفات)، يقول الدكتور عبدالصبور شاهين في ذلك: "غير أن الذي نود أن نؤكده هنا ولا نمل من تأكيده أبدًا حتى يصبح من المفاهيم البديهية لدى الدارسين، هو ضرورة وجود علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين ليعم التأثير إبدالاً أو مماثلة"(١). ثم وضح بعد ذلك العلاقة الصوتية، فقال: "هذه العلاقة ترجع إلى اعتبارين أساسيين: الأول: تقارب المخرج أو اتحاده، والثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات فلا يمكن أن يؤثر صوت في آخر بعيدًا عنه مخرجًا"(٢).

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢١٠.
(٢) المصدر السابق، ٢١٠، ٢١١.

الثاني ـ القوانين الصوتية:

لابدّ لنا قبل البدء في دراسة القوانين الصوتية من ربطها بظواهرها المختلفة، وكنَّا سابقًا قد صرحنا بأن الظواهر الصوتية (إبدال، إدغام، إعلال) هي التطبيق العملي للقوانين الصوتية (المماثلة، والمخالفة)، وسنحاول في هذا الجانب إثبات أن كل ظاهرة تحدث بتأثير قانون تلازمه دون أن تنفصل عنه.

١ــ قانون المماثلة[١]:

يعرفها دانيال جونز بأنها: "عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متواليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما"[٢].

وقد رسم بعض المحدثين الإدغام بثلاثة مصطلحات، هي: (مقبل، مدبر، متبادل)، وفقًا لقانون تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض[٣]، وفي مقابل ذلك استخدم الدكتور إبراهيم أنيس مصطلح:

أ) التأثير التقدمي Progressire.

ب) التأثير الرجعي regrossire.

وقد سبق إدراج أمثلة تحليلية للماثلة الصوتية تحت مسمى (الإبدال) في صيغة (الافتعال).

---

(١) قد حاول الدكتور عبدالصبور شاهين التفرقة بين الإدغام والمماثلة، فالإدغام عنده ينحصر في الحرفين المتماثلين، أما المماثلة فتنحصر عنده في الحرفين المتجانسين والمتقاربين. (ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢٠٥ــ٢٠٨).
(٢) الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ٢٨٣.
(٣) التطور النحوي، برجشتراسر، ٢٩.

٢ــ قانون المخالفة (Dissimilation):

تُعد المخالفة قانونًا صوتيًا آخر اعتمده المحدثون في تفسير بعض التغيرات الصرفية والنطقية وهي تسير في اتجاه معاكس للاتجاه الذي يسير فيه قانون المماثلة. وقد أشار المحدثون إلى تعريف المخالفة، فها هو ذا الدكتور إبراهيم أنيس يعرفها بقوله: "وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"(١). ويعرفها الدكتور رمضان عبدالتواب بقوله: "أما قانون المخالفة فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة واحدة فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المائعة المعروفة في اللاتينية باسم Liquiola، وهي: اللام والميم والنون والراء"(٢).

وتناول ابن جني هذا القانون وعرض له بقوله: "اعلم أنّ هذا موضع يدفع ظاهره إلى أن يعرف غوره وحقيقته، وذلك أنه أمرّ يعرض للأمثال إذا نقلت لتكريرها، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان، فيخف على اللسان، وذلك نحو الحيوان؛ ألا ترى أنه عند الجماعة ــ إلا أبا عثمان ــ من مضاعف الياء، وأن أصله حَيَيَان، فلما ثقُل عدلوا عن الياء إلى الواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء، لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك"(٣).

(١) الأصوات اللغوية، ١٣٩.
(٢) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط٣،١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م، ٥٧.
(٣) الخصائص ١٨/٣ (باب العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف).

ـ التخالف المنفصل:

ما كان بين حرفيه فارق، ويكون باختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف، وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد أصوات المد: الألف والواو والياء، أو أحد الأصوات الشبيهة بها وهي الأصوات المتوسطة أو المائعة ممثلة في اللام والراء والنون والميم.

والمخالفة هنا قانون صوتي يفسّر، ويبيّن سبب حدوث ظاهرة إبدال الألف والياء والواو والهمزة، والأمثلة على هذا النوع عند السكاكي في قوله: "الألف وقعت بدلاً في غير تلك المواضع عن الياء والواو والهمزة في نحو طائي وياجل ... والياء عن أختيها ... في نحو حبلي وصيم ... وعن أحد حرفي التضعيف في نحو دهديت ... ونحو تسريت ولم يتسن والتصدية ..."[(١)].

الواضح أن (تسريت) أصلها (تسررت) من (سرّ)، وقد حدثت المخالفة الصوتية بإبدال الراء بالياء. ويؤكد ابن منظور عليها في قوله: "وخبخبواْ: أبردواْ: وأصله: خَبِّبواْ، بثلاث باءات، أبدلوا من الباء الوسطى خاء، للفرق بين فعّل وفعَلل، وإنما زادواْ الخاء من سائر الحروف؛ لأن في الكلمة خاء، وهذه علة جميع ما يشبهه من الكلمات"[(٢)].

فابن منظور يعتبر أن كل الكلمات التي على شاكلة (خبّبوا) يحدث فيها مخالفة صوتية، حيث يتحول الأمر إلى قياس، يمكن القياس عليه.

---

(١) مفتاح العلوم، ١١.
(٢) لسان العرب (خ ب ب).

ولا تختلف المخالفة عند المحدثين عما عليه عند القدامى، حيث تمّ الاتفاق على المساواة بين القوانين الصوتية، والتغيرات الصوتية.

وتناول المستشرق برجشتراسر القوانين الصوتية، ومنها قانون المخالفة في كتابه(١)، وقد عزا التشابه إلى الأعصاب والعضلات وكيفية حركتها، وذلك أن نتيجة التشابه أبدًا تسهيل واختصار النطق، ومثال ذلك أنا إذا نطقنا كلمة (جنب) بالنون لزمنا مدّ اللسان نحو الثنايا العليا واعتماده على أصولها، ثم نجتذبه إلى وراء، وإطباق الشفتين، وإذا نطقنا كلمة (جمب)، استغنينا عن حركة اللسان، بتقديم إطباق الشفتين لحظة، وكل التشابهات أو أكثرها على هذا المثال.

ـ التخالف المتصل:

ما تجاور فيه الحرفان، وهو على الأخص في الحروف المشددة(٢). والحرف المشدد: هو حرفان مثلان متتاليان، مدغمان في حرف واحد، وقد يفك الإدغام، ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين بقلب أو نصفيه إلى حرف آخر، ومثال ذلك: السّنبلة في العبرية، وفي الآرامية بالباء المشددة، وصارت أولاهما في العربية نونًا (سنبلة)(٣).

ومن أمثلته في مفتاح العلوم: "لم يتسن والتصدية باعتبار وقصِت الأظفار وديباج وديماس وديوان، ونحو قوله ايتصلت وما شاكل ذلك"(٤).

(١) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ٣٣، ٣٤.
(٢) التطور النحوي للغة العربية، ٣٤.
(٣) المصدر السابق، ٣٤.
(٤) مفتاح العلوم، ١١.

ويرى الدكتور عبدالصبور شاهين السبب الحقيقي وراء هذا القلب هو: "تتابع مزدوجين في الكلمة ... وهذا التتابع أشبه بتتابع الكسرة والضمة، حيث تقع فيه الواو إثر الياء نظرًا لصعوبة هذا التركيب؛ لكراهة اللغة له، فإنها مالت إلى إحداث الانسجام في هذا المثال وأشباهه، بتغليب عنصر الكسرة على عنصر الضمة، وهنا يمكن أن يقال: أن الواو قلبت ياء فعلاً"(١).

<u>ومما تقدّم نستنتج ما يلي:</u>

- من الأصوات ما هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما يطرأ على سواه من الأصوات، والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة، ليزداد مع مجاوراتها قربها في الصفات أو المخارج.
- لمصطلح المخالفة وجود بارز في كتاب (مفتاح العلوم)، وهي ليست من اكتشاف المحدثين، ولكي تحصل لابد من توفر صوتين متماثلين (صامتين أو صائتين).

وهنا يلتقي التعليل بمكونات الصوت عند السكاكي مع الكثير من آراء البنيويين في العصر الحديث، فتروبسكوي، من لغوي (براغ)، يقول بمصطلح المحتوى الفونيمي (contenuphonenique)، والذي يعني به "كل الخصائص المميزة فونولوجيا للفونيم ... والتي تُعدّ مشتركة بين تنوعات الفونيم (ألوفون)، والتي تميز الفونيم عن غيره من الفونيمات داخل اللغة المعينة"(٢)، مما يجعل دراسة أي صوت أكثر علمية.

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ٨٩.
(٢) دراسة الصوت اللغوي، ٨٠.

التغيرات الصوتية في الصوائت:

إن الكشف عن الوحدات الصوتية لعبارة لغوية يكون بتجزئتها إلى مكوناتها الصغرى التي تؤدي دورًا تمييزيًا أو ما يعرف بالفونيمات (Phonemes)؛ وهي النماذج الصوتية التي تسمح بتمييز الكلمات وأشكالها، فالفونيم يؤدي وظيفتين: إحداهما إيجابية تتمثل في تحديد شكل الكلمة، وبالتالي تحديد معناها، والثانية سلبية تتمثل في تحديد الفرق الشكلي، وبالتالي المعنوي بين هذه الكلمة والكلمات المشابهة لها صوتيًا[١]. وعلى سبيل المثال: فإن الفونيم ك/ في اللغة العربية يحدد شكل ومعنى كلمة (كَتَبَ)، كما أنه يميّزها صوتيًا عن كلمات مشابهة لها مثل (عتب)[٢].

أنواع الصوائت:

الصوائت في العربية على نوعين: صوائت أصول، وهي الفتحة والضمة والكسرة، والألف والواو والياء المديتان[٣]، وصوائت فروع، وهي تنويعات نطقية للصوائت الأصول، أو تشكيلات صوتية خاصة[٤].

يرى معظم علماء اللغة في العصر الحديث أن عدد الحركات القصيرة ثلاث، هي:

ـ الفتحة القصيرة: (a). ـ والكسرة القصيرة: (I).

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ط٤، القاهرة،عالم الكتب،٢٠٠٦م، ١٨٠.
(٢) توضح بعض المصطلحات القصدية لفهم المعنى:
الفونيم: أصغر وحدة صوتية صامتة أو صائتة، قادرة على تغيير الدلالة في بنية الكلمة.
الألفون: هو التنوع الصوتي السياقي الذي يطرأ على نطق الفونيم (فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، مطبعة النصر التجارية، ١٩٩١م).
المورفيم: أصغر وحدة ذات معنى (أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨م.
(٣) علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ـ ١٨٩ـ١٨٥.
(٤) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ١٣١.

ـ والضمة القصيرة: (u).

ومع كثرة الأدلة والآراء على عدد الحركات القصيرة وتحديدها بثلاث حركات، إلا أن بعض علماء اللغة المحدثين اختلفوا في الحركة الرابعة "وقد عرفت العربية الفصحى أربع حركات، هي:

١ـ الفتحة المفخمة بعد الأصوات المفخمة: الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والعين والغين والخاء والراء ولام لفظ الجلالة إن سبقت بفتح أو ضم.

٢ـ الفتحة المرققة مع بقية الصوامت.

٣ـ الكسرة الضيقة الأمامية، وقد تتسع قليلاً فتنطق كالفتحة الممالة في المقطع المقفل مثل: طِر وبِع أمرين من: طار وباع.

٤ـ الضمة الضيقة الخلفية ... بيد أن التسميات التي وضعت لهذه الحركات كانت ثلاث بإدماج حركتي الفتحة (مفخمة ومرققة) في تسمية واحدة من حيث كان اختلافهما لا أثر له من الناحية الصرفية"[١].

ولطالما نُظر إلى هذا النوع من الأصوات وخاصة الصوائت القصيرة أنها ثانوية مقارنة مع الصامت؛ لأن اختلافها في الكلمة لا يؤدي إلى اختلاف في أصل المعنى الذي تؤديه مادتها الثابتة المتكونة غالبًا من الصوامت؛ ولذلك كان الحرص على كتابة الصوامت أكثر منه على كتابة حروف المد والحركات[٢].

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ٢٩.
(٢) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠١هـ، ٢٥٢.

والحركات الطويلة هي: الياء المدية، وألف المد، والواو المدية[١]، وما عدا ذلك فيُعد من قبيل التنوعات النطقية (desallophones)، التي ليس لها أي قيمة فونيمية، وهذه الصوائت مع قلة عددها تعادل جميع الصوامت من جهة أهميتها في تحوير المعاني، وتغيير الدلالات؛ لذلك فهي شطر اللغة ولا يمكن تكوين كلمة من دونها.

وهذه الصوائت (التنوعات النطقية) إما أن تكون مركبة (complex–vowel)، أو بسيطة (Monophthong)[٢]، فالمركبة كالإشمام[٣]، والبسيطة إما أن تكون إمالة أو إخفاء الذي يشمل الاختلاس والروم[٤]،[٥].

(١) ينظر: علم اللغة ــ مقدمة للقارئ العربي، د. محمد السعران، ١٨٤، ١٨٥.
(٢) ويطلق عليها د. عبدالصبور شاهين مصطلح انزلاق حيث يقول: "إننا نفرق بين حالتين تقع فيهما كل من الواو والياء: أن يكون الانزلاق نهاية مقطع مقفل مثل: بَيْت boy/tum وقوم zow/mun؛والثانية: أن يكون بداية مقطع مثل: واعد waa/cid، وياسر yaa/sir فالحالة الأولى تؤكد الخاصة الحركية للصوتين، وهو ما يسمى المقطع الهابط، والحالة الثانية تبرز الخاصة الصامتية لهما وهي ما يسمى بالمقطع الصاعد.
(٣) الإشمام: "هو ضم الشفتين بلا صوت عند النطق بالحركة، ويدركه البصير؛ لأنه يرى ضم الشفتين، ولا يدركه الأعمى؛ لأنه لا يرى حركة الشفتين، لكنه يسمع أثر الإشمام على المخرج". (معجم القراءات، عبداللطيف الخطيب، سوريا ــ دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م، ١/٤٣، ٤٤).
(٤) الاختلاس: "هو إخفاء الحركات بنقص تمطيطها، بما قد خصّه النص منها والنقل المتواتر الصحيح، فالاختلاس في حقيقته العملية: هو الإتيان بثلثي حركة الحرف، بحيث يكون المنطوق به من الحركة أكثر من المحذوف منها". (معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، ١٥). =
= ويرى د. عبد الصبور شاهين، أن الحركة في الاختلاس تكون أقصر زمنًا، وتكاد تفقد الجهر مثلما يحدث في الإسرار أو الوشوشة. (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٧م، ٣٧٠).
الروم: "حركة مختلسة مخفاه" بضرب من التخفيف وهي أكثر من الإشمام؛ لأنها تسمع". (النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ٢/١٢١).
(٥) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ١٣١.

بعد هذا نطرح الملاحظات الآتية على رأي السكاكي في مفتاح العلوم في ضوء النظرية البنيوية:

الصوائت المركبة:

ـ صائت الضم[١] (الإشمام):

الإشمام هو: علة خارجية عن بنيات اللغة ومقاطعها، إلا أنه لما كان مستعمل اللغة هو الفاعل الأول في الموقف الكلامي، استحق العناية، فالوقف يتناسب وراحة المتكلم، ووجه استحسانه وجوده "عند كلال الخاطر من ترادف الألفاظ، والحروف، والحركات"[٢].

يقول السكاكي: "والإسكان الصريح وهو على نوعين: إسكان بإشمام وهو ضم الشفتين بعد الإسكان، وأنه مختص بالمرفوع وبغير إشمام"[٣].

ويقول أيضًا: "وأما في باب فَعَل المفتوح العين فيكسر إذا كانت الألف من الياء كَمِلْتُ ويضم إذا كانت من الواو كَقُلْتُ وما قبل غير الألف عند السقوط لا يتغير كقولك في قيل بالكسر الخالص أو بالإشمام قلت يا قول وقلت بهما..."[٤].

---

(١) الضمة العربية يتنوع نطقها بين التفخيم والترقيق في ظروف سياقية ــ شأنها شأن الفتح والكسر ــ إلى: الضمة المرققة، والضمة الوسطى، والضمة المفخمة. ويعد الإشمام صائتا مركبًا؛ لأنه يكون بنطق ضمة خفية بعد فاء الكلمة متلوة بياء ساكنة. (معاني القراءات، الأزهري، ١/١٣٦).
(٢) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ط المنيرية، ١٠/٣٨٧.
(٣) مفتاح العلوم، ٣٥.
(٤) السابق، ٣٤.

التحليل والبيان:

يُعدّ الإشمام المستوى الثاني من الكميات الصوتية الجزئية للصائت القصير، بعد الاختلاس، وقبل الروم، وهو صوت منظور غير مسموع؛ لأنه يتكون من "ضم الشفتين من غير صوت"(١)، تنبيهًا على: "أن لهذه الكلمة أصل حركة في حال الوصل"(٢).

ويتكون هذا الصائت في العربية حين يصبح أقصى اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين واللهاة، وحجرة الرنين الفموية مع وضع ضيّق للسان إلى حد ما، بحيث يكون هناك متسع في مجرى الهواء دون أن يؤدي إلى أي نوع من الاحتكاك، ثم يتابع الهواء سيره إلى الشفتين اللتين تأخذان شكلاً مستديرًا لتشكل الضم(٣)، وللضم أنواع نطقية متفرعة عنه كما سنرى مع قرينيه الفتح والكسر.

"ومن المعلوم في الدرس الصوتي أن الواو (w) والياء (y) تشتركان مع الحركات الصرفة (vowels)، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، في الملمح التقاربي (approximant features)، ويقصد بهذا الملمح اقتراب عضو نطق من عضو نطق آخر دون أن يصل هذا التقارب بينهما حد الاحتكاك ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات مصطلح الصوت المستمر غير الاحتكاكي"(٤).

---

(١) أسرار العربية، لابن الأنباري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ٢٨٣.

(٣) علم اللغة العام ــ الأصوات ــ، د. كمال محمد بشر، ١٤٠.

(٤) علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، جامعة القدس، ط٢، ٢٠٠٣م، ٣٢٣.

الصوائت البسيطة:

ـ صائت الفتح[١] وأنواعه:

حين النطق بالفتح يهبط الجزء الأمامي من اللسان إلى أقصى حد ممكن مع ارتفاع خفيف في وسطه، إذ يبقى الفم مفتوحًا بشكل متسع، وحجرات الرنين فيه كبيرة، وتكون الشفتان في هذه الحال متخذتان وضع الاستواء والانبساط[٢].

ومن أبرز التنوعات النطقية للفتح في العربية ما ذكره السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) من:

ـ الألف التي تمال إمالة شديدة (الإمالة)، وألف التفخيم[٣]، وسنعالجهما على النحو التالي:

ـ الفتح بين الترقيق والتفخيم[٤]:

---

(١) توصف الفتحة بأنها: صائت قصير، وأمامي ومنبسط (مستو)، وفموي؛ لأن جزءًا من اللسان يرتد إلى الخلف حتى يسد التجويف الأنفي، ويبقى خروج الهواء من الفم فقط، وهذا الوصف ينطبق على الفتحة المرققة في العربية الفصحى، والفتحة أكثر الصوائت انفتاحًا، وهي بذلك صائت متسع إذ يحدد هذا المجال بأسفل نقطة من قاع الفم يمكن الوصول إليها. (اللغة، فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ٤٦).

(٢) الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صنعاء للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م، ٢٠٩، وعلم الصرف الصوتي، د. عبدالقادر عبدالجليل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ١٩٩٨م، ٣٣٨، ٣٣٩، وعلم اللغة العام: الأصوات، ١٤٠، ومبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦م، ٦٠.

(٣) الألف فونيم، أما الترقيق والتفخيم فلا يعطيها صفة فونيمية أخرى بدليل أن الألف تبقى ذات دلالة واحدة في التفخيم أو الترقيق.

(٤) الترقيق لغة: الرَّقيق ضد الغليظ والثخين، فهو النحيف، والترقيق: التخفيف، ضد التسمين والتفخيم. (ينظر: الصحاح للجوهري (ر ق ق)، ومختار الصحاح (ر ق ق). وفي الاصطلاح: هو "عبارة عن تخفيف الحركة، بجعله في المخرج نحيفًا وفي الصفة ضعيفًا". (هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي، مكتبة طيبة، ط٢، ٢٠٠٩م، ، ١٠٤).

يتنوع الفتح في اللغة العربية بين ما يسمى بالإمالة وألف التفخيم.

أولاً ـ الإمالة:

الإمالة تقريب صوتي بين الصوائت، ومعناها الاتجاه بالصائت قصيرًا كان أو طويلاً إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قرينَيْه(١).

يقول السكاكي: "الإمالة: وهي أن تكسي الفتحة كسرة فتخرج بين بين قولك (صَغرَ) بإمالة الغين، فإذا كانت بعدها ألف مالت إلى الياء كقولك عماد بألف ممالة"(٢)، وبهذا يتفق مفهوم السكاكي مع مفهوم اللغويين بأنها: "انتحاء خفيفًا كأنه واسطة بين الياء والألف"(٣)، فهي ليست ألفًا خالصة ولا ياء خالصة، إنما هي (حالة ارتكازية وسطى)، ولا يجوز معها إلا الترقيق(٤).

وللإمالة دواعٍ وأسباب مختلفة ومتنوعة فصّل فيها السكاكي القول(٥)، وكذا المحدثون، فالإمالة ظاهرة تصيب جميع الفتحات الطويلة على أنه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة والفتحات الطويلة الواقعة آخرها ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الإمالة(٦).

التفخيم لغة: التعظيم والتسمين والاستعلاء، وهو ضد الترقيق والتنحيف. (المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٢٢٥/٥، لسان العرب لابن منظور (ف خ م)، والقاموس (ف خ م). وفي الاصطلاح: هو "سِمنُ يدخل على صوت الحرف فيمتلئ الفم بصداه". (معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، ٩٦).

(١) الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) مفتاح العلوم، ٢٥.

(٣) اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، ١٩٨٥م، ص.

(٤) النشر في القراءات العشر، ٩٠/٢.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ٢٥.

(٦) دروس في علم الأصوات العربية، ٥٨.

ثانياً ـ ألف التفخيم:

التفخيم يخص الفتحة الطويلة أو الألف حسب التعبير القديم، ولقد أثار السكاكي قضية الألف المفخمة في قوله: "التفخيم وهو أن تكسو الفتحة ضمة فتخرج بين بين إذا كانت بعدها ألف منقلبة عن الواو لتميل تلك الألف إلى الأصل كقولك الصلاة والزكاة"(١)، "لكنه مع ذلك لم يشر إلى مخرجه والذي يحدث بـ"أن تستدير الشفتان قليلاً مع اتساع في الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ثم يرتفع مؤخر اللسان قليلاً، فيصير الفم في مجموعة حجرة رنين صالحة لإنتاج تلك القيمة الصوتية المعروفة بالتفخيم"(٢). فهي بذلك تكمن في اتجاه اللسان إلى مؤخرة الفم أي نحو الحنك الرخو، فينتقل الجرس من الفتحة إلى الصائت، كما هو الشأن في النطق المفخم للكلمات التي ذكرها السكاكي (الصلاة)، (الزكاة).

وهذه الأصوات لم تستقل يومًا ما لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها، بل بقيت صورًا نطقية فحسب، تميز لهجة عن لهجة أخرى، من غير أن تثير إشكالاً دلاليًا أو صرفيًا(٣)، وتنشأ هذه الأصوات الفرعية من جراء تعامل الأصوات الأساسية فيما بينها وفي سياقات نطقية متنوعة ومتعددة، ولما كان مسار الصوت يبدأ من الجوف إلى الشفتين، قلبت إمالة الفتحة نحو الضم أو الكسر، واستحسنت باعتبارها نقطة البداية، "فهي المحرك والموّزع

(١) الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ٢٠١.
(٢) أبحاث في أصوات العربية، حسام الدين النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد ــ العراق، ١٩٩٨م، ٨٦.
(٣) علم اللغة العام، الأصوات، ١٥٣.

في العملية الصوتية"[١]، والصوت فيها حر طليق إلى أن يُعترض فيتجه نحو الضمة أو الكسرة.

- **صائت الكسر [٢] وأنواعه:**

إن النطق الفعلي لفونيم الكسر يتحقق بعدد من التأديات الصوتية المتنوعة بحسب السياق الذي يرد فيه، إذ نجد ما يلي:

يقصد بطول الصائت وقصره: المدى الزمني الذي يستغرقه نطق الصائت؛ أي ما يُعرف عند علماء الأصوات المحدثين "بالكمية الصوتية ويطلق هذا المصطلح على المدة التي تبقى فيها أعضاء النطق في الموضع اللازم لإنتاج صوت ما"[٣]. فمدة النطق بالكسرة الطويلة أو الياء المدية أطول زمنًا من زمن النطق بالكسرة القصيرة كما في قولنا: "بع، بيع.

إن ياء المد في (بيع) أدت معنى مختلفًا عن المعنى الذي أدته الكسرة في (بع)، إذ إن التقابل بين الصائت الطويل والآخر القصير أدى إلى تغيير في المعنى وفي الصيغة أيضًا، وإن وقع كل منهما في موقع الآخر.

ومعنى هذا أن كلا منهما فونيم مستقل، فالعربية جعلت من المد الزمني للصائت عنصرًا مميزًا يتمم معنى الكلمة، إذ إن كل صائت له إحدى الصفتين: الطول أو القصر[٤].

---

(١) الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، رسالة دكتوراة، جامعة دهران، ٢٠٠٣م، ٥٣.

(٢) الكسرة في العربية تتكون بارتفاع مقدمة اللسان قليلاً نحو الغار فيكون المنفذ واسعًا لا يعيق مرور الهواء عبره، إذ يخرج حرًا طليقًا دون أي احتكاك يذكر، وتتخذ الشفتان منفرجًا بحيث تكون زاويتاها بين الشفتين مسحوبتين إلى الوراء.

(٣) معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، (د.ت)، ٢٣٥.

(٤) الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ٢٧٣.

وإضافة لهذا الكلام، لقد أثبتت الدراسة التشريحية أن الخلاف بين الصوائت الطويلة والقصيرة لا يكمن في الزمن أو الكمية فحسب، وإنما في الكيفية أيضًا، إذ إن موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلاً عن وضعه في أثناء أداء الصوت الآخر(١).

ومن ناحية أخرى قد يطول زمن النطق بالصائت الطويل عن زمنه الطبيعي إلى زيادة في امتداده النطقي، وذلك في ظروف خاصة ... فتتحول إلى صوائت طويلة للغاية قد يبلغ مداها عدة ثوان(٢)، وهي ظاهرة تسمى:

الإشباع(٣): يقول السكاكي: "والوقف على من الاستفهامية أن يشبع في نونه حركة المستفهم عنه كنحو منو مني منا فقط ..."(٤).

الإشباع كما عبر عنه السكاكي صورة من صور النبر تنبه إليه السكاكي، بينما غيره من القدامى ارتضى تسميته بمطل الحركات، ولذا يقول أحد الباحثين: "فالمطل عند ابن جني في ما ورد هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، إذا ما علمنا أن الألف ضعف الفتحة، والياء ضعف الكسرة، والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع، لتحقيق غرض مقصدي"(٥).

---

(١) الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ٢٠١.
(٢) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو،١٥٠ــ١٥٤،والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دارالشروق العربي، بيروت، ط،١٩٧١م، ٣١ــ٣٨.
(٣) الإشباع: هو "تحول الحركات عن درجة القصر إلى الطول من غير تغيير في المعنى". (الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٤م، ٢٩٦).
(٤) الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ٢٠١.
(٥) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبدالعزيز الضبع، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م، ٢٤١.

وقد تقصر الصوائت القصيرة عن زمنها العادي إلى أدنى زمن ممكن فتصبح قصيرة مختلسة، أي إنها تنطق مخطوفة لا يستطيع تمييزها إلا ماهر.

وقد أورد السكاكي أن هذا الصوت يبقى محتفظًا بقدرته على أداء دوره قال: "في إجراء الوقف على الكلم في الوقف ثلاث لغات أو أربع، التضعيف كقولك: عمرو هو مختص بالذي آخره صحيح غير همزة وما قبله متحرك، والرفع وهو أن تروم في إسكانك الآخر قدرًا من التحريك، والإسكان الصريح وهو على نوعين: إسكان بإشمام وهو ضم الشفتين بعد الإسكان، وأنه مختص بالمرفوع وبغير إشمام"(١)، وهو في هذا يتفق مع اللغويين المحدثين، فنحن إذن أمام صائت قصير.

فهذه التغيرات النطقية في كمية الصوائت لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ إن درجة الطول قد نشأت بسبب السياق، ولقد استطاع بعض الباحثين أن يميزواْ طائفة من العوامل التي تسبب طولاً أو قصرًا مختلسًا في الصوائت أهمها(٢):

١ــ طبيعة الأصوات المجاورة للصائت في السياق.

٢ــ درجة النبر ونوعه.

٣ــ تطرف الصوائت.

٤ــ بعض الحالات النفسية.

---

(١) مفتاح العلوم، ٣٥.
(٢) في الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ٨٢ــ٨٣ (بتصرف).

وبالتالي تضحى الظاهرة الصوتية وسيلة لتحديد البيئة المكانية للغة، وهذا من انشغالات علم الاجتماع اللغوي، ويعد السماع هو وسيلة التمييز بين اللغة (واللهجة)، وبين الصنعة، كظاهرة مَطْل ضمير الغائب وإثبات (الواو) في: (أخيلهو)، و(أعينهو)، و(تحوسو)، أو تسكين في: (لهْ)، و(عيونَهْ)، علتها تنوع لغات (لهجات) العرب[١]، وإلى ذلك أشار السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) حين عرض أمثلة مشابهة لما ذكر أعلاه.

إلا أن هذا، لا يمنع من القول بتميز الدرس العربي بعامة، ودراسة السكاكي في مفتاح العلوم بخاصة، في تحديد السمات المميزة للصوت، من تلك الدراسات التي اعتمدت صرامة القوالب التصنيفية، فتروبسكوي انطلق من "التصنيف الفيزيولوجي المبني على المخارج والصفات التابعة لها"[٢]، كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة.

أما جاكبسون فاتسمت دراسته للأصوات بكونها "إصغائية أساسًا لا نطقية"[٣]؛ إذ أصبح لتحديد المخارج دور ثانوي، واهتم بدلاً منه بالصفات المميزة (الفارقة)، التي اعتبرها منطلق الدرس، فتحدث عنها في ثنائيات متقابلة (الحادة/الثقيلة)، و(الكثيفة/المنتشرة)، و(المتوترة/المرتخية)"[٤]، وسبب ذلك أن تقابل المخارج لا يفيد شيئًا في دراسة الجانب الوظيفي للصوت، كتحديد مكونات الجمل، وتغير معانيها.

---

(١) الخصائص ٣١٥/١، ٣١٦.
(٢) الصوتيات والفنولوجيا، مصطفى حركات، ٧٥ــ١٣٠.
(٣) مدخل للصواتة التوليدية، إدريس السغروشني، دار توبقال، المغرب، ط١٩٨٧،١م، ٢٨.
(٤) ينظر: مدخل للصواتة التوليدية، ٢٩، والصوتيات والفنولوجيا، ٨٧.

وبالعودة إلى ما سبق ذكره في (مفتاح العلوم)، نرى أن السكاكي قد أخذ بكل مكونات الصوت، ولم يقف الأمر عند الوصف البنيوي، بل تعدى ذلك إلى استنطاق دلالات الصوت وكمياته، إضافة إلى تأكيد قيمة تنويعاته في تحديد بيئة الاستعمال.

المبحث الثاني

بنيويـــة الصـــــوائت

ليس مهمة هذا المبحـث أن يقـدم دراسـة تفصـيلية عـن البحـث المورفولوجي[١]، وأسس التفكير فيه، إلا بقدر تعلقه بالمنهج البنيـوي فـي (مفتاح العلوم) في معالجة الأبنية الصرفية، وتصنيفها، وبـالتكثيف الـذي يسمح به هذا السياق.

يتناول الصرف (morpholgie) الجانب الشكلي للمفـردات وصـيغها وموازينها الصرفية، وعلاقتها التصريفية من ناحية والاشتقاقية من ناحيـة أخرى، ويتعرض لما يتصل بالمفردة من ملحقات سواء أكانـت لواصـق أم لواحق أم دواخل[٢].

ويُعد مصطلح المورفيم (morpheme) مصطلحًا محوريًا فـي هـذا المستوى، فهو من مصطلحات الإجراء اللساني البنيوي الذي يعمد في المقام الأول إلى تحليل البنية اللغوية إلى مكوناتها الملاحظة عبر التوالي النمطـي لأجزائها، وهذه الجوانب كلّها، تمثل مجالات الدراسة المورفولوجية، وهـي في مجملها تمثل أنواع المباني؛ لحصر مجال دراسة المنطلقـات الصـوتية بدقة.

---

(١) المورفولوجي (Morphologie): وهي مصطلح لساني حديث "مأخوذ من الكلمة اليونانية "Movfe" بمعنى شكل أو صورة". (علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السـعران، ٢١٧).

(٢) "اللواصق هي: السوابق Prefixes)، واللواحق (Sefixes)، والـدواخل (Infixes) هـي: التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة". (التحليـل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود أحمد عكاشة، دار النشر، ط١، ٢٠٠٥م، ٦١).

ولما اطلعت على كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي، ألفيتُ فيه دراسة للموضوعات الصرفية لا تختلف عن الدراسة المورفولوجية، فالمباني التي كان يعوّل عليها في التعليل لم تكن مباني إفرادية حسب، وإنما كان يقف عند المورفيمات بأنواعها. وسأركز في هذا المبحث على خاصيتين اثنتين، هما: التعليل بالأصوات، والتعليل بالمناسبة، وهما خاصيتان بارزتان متناسبتان وطبيعة وجود هذا المنهج البنيوي.

١ ـ التعليل بالأصوات:

من خصائص التعليل عند أعلام هذه المدرسة العناية بالأصوات في دراسة الصيغ الإفرادية، والخفة، والتجانس مظهر من مظاهر ذلك.

لقد شكلت العلل الصوتية أساس التعليل لتنويعات الصيغ الحديثة في الماضي والمضارع، فصيغة فَعَل (بفتح العين) يكون مضارعها بضم العين أو كسرها (خرَج يخرُج، ضرَب يضرب)، ما لم تكن عينُه أو لامُه حرف حلق، فيمتنع آنئذ التنويع، ويأتي المضارع مفتوح العين كما فيه، قال السكاكي: "والماضي المكسور العين يكثر فيه الأعراض من العلل والأحزان، وأضدادها، ولا يضم العين من مضارعه البتة لكن في الأغلب تفتح في الصحيح وتكثر في المثال والماضي المفتوح العين إذا لم يكن عينه أو لامه حرفًا حلقيًا ... كنحو فضل بكسر العين ويفضُل بضمها، وكنحو ركَن يركَن بالفتح، ما حقيقة هذا المعنى فيهما[١]؟" في هذا الصنف من الصيغ الحدثية[٢]. يتوقف السكاكي عند الفعل (ركَن) الذي مضارعه (يَركَن) مُبينًا أن هذه الصيغة تخرج عن حيز الصنف السابق، رغم كونه مفتوح العين في

(١) مفتاح العلوم، ٢٢.
(٢) الحدثية: وهو ما يُعرف بالصيغ الفعلية.

الماضي والمضارع، إلا أنه لا يحمل في تركيبته الصوتية حرف الحلق عينًا أو لامًا، فيستثني السكاكي هذا الفعل ويجعله من الفروع كونه يحتمل لغتين هما (ركَن يركُن) (رِكن يركَن) أو (فضِل يفضُل)...".

إنه علاقة الصامت بالصائت، أي تناسب خفة الفتحة ثقل حروف الحلق. إن تعليل مثل هذه الفروع المورفولوجية بالعودة إلى قواعد الأصوات، تدعمه الدراسات الحديثة؛ إذ "لا يوجد لهذه الظاهرة حلّ إلا بتوظيف القوانين الصوتية، فهي وحدها كفيلة بتحليل هذه التشكيلات، وإزالة الإشكالات..."[(١)].

وهذا أمر حتمي، فالدرس اللغوي العربي انطلق من التركيب إلى مكوناته الإفرادية، ومن هذا إلى المكونات الصغرى وهي الأصوات، التي كانت العناية بها متأخرة مقارنة بسابقاتها.

ولم يقف التعليل بالأصوات عند قيمة الصامت والصائت في تنويع الصيغ الحدثية، بل كان أيضًا مُحدِّدًا بنسب ورود الصيغ على أصل القواعد، فكلما كان الصوت أدخل في الحلق، كلما كثُر خروجه عن أصل القسمة، ولهذا يكثر تماثل المضارع والماضي المفتوح العين، الذي عينه أو لامه همزة أو هاء، بينما يقلّ ذلك كلما استعملنا أصوات الحلق القريبة من الفم "والأصل في العين والحاء والغين والخاء أحسن من الفتح؛ لأنها أشد ارتفاعًا إلى الفم"[(٢)]، مما يقربها إلى الكسرة أو الضمة، فتتقبل التنويع، مثل: رجع يرجِع، ونطح ينطِح، وفرغ يفرُغ.

---

(١) التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي، رسالة دكتوراه في اللغة، جامعة وهران اللسانية، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ٦٤.
(٢) شرح المفصل ٤٤٩/٧.

إن النموذج المقدم للدراسة من (مفتاح العلوم) ينفي عن القدامى ما نسب إليهم "بأنهم لم يحاولواْ الربط بين مستويات الدرس اللغوي ... على وجه ينبئ بتكامل هذه المستويات ووحدتها، فقد غاب عنهم الربط الوثيق بين علم الأصوات من جهة، وعلم الصرف من جهة أخرى"(١).

وبرأيي، إن ما ذكره السكاكي في مدى تأثير مواقع نطق أصوات الحلق في تنويع صيغ المضارع أو تماثلها، كما بينت آنفًا، شكّل مرحلة تقدمية في تماثل المضارع والماضي المفتوح العين، أما إذا وقع التنويع، فأصوات وسط الحلق (ع ح) تنسجم والكسرة؛ لاشتراكهما في صفة الترقيق، ولهذا ينعدم احتمال الرفع في مثل (رجع يرجِع)، أما أصوات أدنى الحلق، فتتناسق وحركة الضمة؛ لاشتراكهم في خاصية الاستعلاء، وينعدم احتمال الكسر في مثل (نفخ ينفُخ، بزغ يبزُغ(٢).

ومن إشكالات الصيغ المورفولوجية التي وظّف فيها السكاكي (قوانين الأصوات) لحلّها، تعليله لبعض الصيغ، إذ قال: "أن الماضي المضموم العين نحو شرُف بابه لا يكون إلا لازمًا..."(٣)، هو ثاني سمة في منهج التعليل؛ لأن أهم ضوابط دراسة الصيغ الصرفية عنصر المعنى الذي لأجله يُستغني عن الحروف الأصول، ويحتفظ بالزوائد.

ومن إشكالات الصيغ المورفولوجية أيضًا تعليله بقياس بنية على بنية، وكيفية إنتاج البُني المشتقة، ولم يخرج المحدثون عما ذكره (السكاكي)

(١) التفكير اللغوي بين القديم والحديث، د. كمال بشر، دار الثقافة العربية، مصر، (د.ت)، ١٥٠، ١٥١.
(٢) هندسة المستويات اللسانية من المصادر العربية، مكي درار، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ٧٧.
(٣) مفتاح العلوم، ٢٢.

بشأن الاشتقاق، وكيفية إنتاج البُنى المشتقة، وتبين أن الاشتقاق تحوّل داخلي للبنية من حيث الشكل والوظيفة والدلالة؛ لأن البنى المشتقة كلها تدور على محور معنوي واحد، أو محاور معنوية قريبة في الأصل حتى جعل بعض اللغويين الاشتقاق من موضوعات المورفولوجيا المعجمية الاشتقاقية[1]، والتغير الاشتقاقي يستغرق:

- الحركات.
- الزيادة.
- الحذف.
- الزيادة والحذف.
- التقديم.
- التأخير.

وأن الأبنية الصرفية والأوزان بمثابة قوالب فكرية عامة تُصاغ فيها الألفاظ وتتحدد بها المعاني الكلية والمفاهيم العامة، بذلك يتوفر على المتعلم كثير من الجهد الذهني وذلك بتخصيص صيغة/قالب فكري عام يدل على شيء أو معنى عام يسهل تمثله واستحضاره في الذاكرة، إذ ترتسم في ذهنه دلالة عامة أو أكثر لكل ما جاء على تلك الصيغة من كَلِم، ومن وجهة ثانية تفريعية توليدية يمكنه أن يُحاكى/يقلد ما يسمعه من ألفاظ على تلك البنية أو ذلك القالب حكاية آلية محضة، بل يقيس لبنية على بنية فيأخذ بالمقاييس والمثل دون محتوى الكلام، إذ يستطيع أن يولد ويفُرّع ويَخلق ليس الألفاظ التي سمعها فقط، بل حتى التي لم يسمعها قط، وذلك بأن يبني على ذلك المثال أو يصب في ذلك القالب لفظة من أي أصل لغوي، وفي ذلك يقول

(١) وهو ما يُعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بالمورفولوجيا التصريفية (inflectional morphology)، والمورفولوجيا الاشتقاقية (dervatioonal morphology)؛ لأن من طبيعة المورفولوجيا تناول الناحية الشكلية التركيبية للأبنية، والموازين الصرفية، وعلاقتها التصريفية من جهة، والاشتقاقية من جهة أخرى. (ينظر: دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد النجار، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ٢٨).

السكاكي: "أن الماضي المضموم العين نحو شرُف بابه لا يكون إلا لازمًا لم يأت فيه متعد إلا قولهم رحبتك الدار وأنه في التقدير رحبت بك وهو أحد أبنية التعجب واللازم هو ما اقتصر على الفاعل والمتعدي ما يتجاوزه، وهذا الباب يسميه أصحابنا أفعال الطبائع، ولا يكون مضارعه إلا مضموم العين..."(١)، فلو أن السامع سمع ماضيًا على (فعُل) لقال في مضارعه (يفعُل)، كأن يسمع لأول مرة (ضؤل)، ولم يسمع مضارعه فإنه سيقول (يضؤل)، وإن لم يسمع ذلك ولا يحتاج إلى أن يسمعه ولو كان بحاجة إلى ذلك الاستماع لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وتقبلوها وعمل بها المتأخرون معنى يفاد ولا غرض ينتحيه الاعتماد(٢).

إن الأوزان العربية وفكرتها نظام رياضي توليدي تحويلي إجرائي يهتم به اللغوي اللساني العربي الذي في اللسان صورة ومادة معًا.

"وبهذا نرى أن الصيغة التي تُختار هي التي تتوافر لها الضمائم التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد، فلا يهم إن كان الزمن الماضي آتيًا من صيغة (فُعل)، أو (يفُعل) ما دام يمكن التفريق بالضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أو تختار من بين الصيغتين أصلحهما للدلالة على المعنى الزمني المراد في سياق بعينه"(٣).

وكما احتلت العلل الصوتية مكانة بارزة في توجيه المعاني، فإن حركتي البنية لم تكونا بأقل أهمية منها في تمييز الدلالة وتوجيه المعنى،

(١) مفتاح العلوم، ٢٢.
(٢) دلالة الصيغ الصرفية في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد سليمان الشريف، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، ١٩٨٦م، ١٤٧.
(٣) اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ د. تمام حسان، ٢٤٨.

فلام الإضافة مبنية على الكسر إلا أنه لما التبس المستغاث به بالمستغاث له فتحت لام المستغاث له؛ لئلا يقع اللبس بين المدعو والمدعو إليه.

وقد بيّن السكاكي ذلك بقوله: "يا لزيد في الاستغاثة على قول من يقول في اللام إنها حرف جر، لكن فتحت مع المنادي الواقع موقع الضمير فتحها مع نفس الضمير"(١).

وأكد بعض علماء العربية أيضًا ذلك بقولهم: "اعلم أن هذه اللام لما اطرد كسرها في الظاهر وقع لبس بين ظاهرتين في موضع ففتحت اللام في أحدهما لزوال اللبس بينهما، ولم تزل اللام عن معناها مكسورة وعملها خافضة في حقيقة معناها، وذلك في المستغاث له والمستغاث به، والمدعو له والمدعو إليه، تقول: (يا لَزيد) إذا كنت تدعوه إلى نصرك وتستغيث به، و(يا لِزيد) إذا كنت تدعو غيره إلى نصره وتستغيث له، ولشيء أصابه، وفتحت لام المستغاث به لينفصل من المستغاث له، وهي على معناها في الإضافة"(٢).

مناقشـــــة:

لقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة مدى سلامة هذا التوجيه، فالفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع إليها العربي ما وجد إلى الخفّة سبيلاً(٣)، وهذا سبب شيوعها، أما سبب الخفة "فانتصاب اللسان ممتدًا

(١) مفتاح العلوم، ٤٩.
(٢) شرح السيرافي ١٦٢/١.
(٣) في النحو العربي، نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م، ١٩٨٦م، ٨١.

في اتجاه الشفتين محايدًا بين الحنكين"[١]، ليس فيه استعلاء الضمة، ولا استفالة الكسرة.

فالسكاكي في حديثه عن فتح اللام مع المنادي، يبدع رأيًا جديدًا فيه اعتماد كلي على موضوعية نطق الصوائت، فلما كان "النصب من أقصى الحلق، والجر من وسط الفم، والرفع من الشفتين، كان النصب أقرب إلى الجر من الفتح"[٢]، لقرب أقصى الحلق من وسط الفم.

فالثابت في هذا النص هو قرب الفتحة من الكسرة، وزاوية تعليل ذلك موقعية النطق، ولما غيّرت زاوية النطق بأن نظر إلى الصوائت من جهة حركة اللسان في النطق كانت النتيجة ذاتها لكن الفتحة توسطت الصائتين، الضمة والكسرة، وهي إلى الصائت الأخير أقرب[٣].

ومما سبق نستخلص أن المورفيم وحدة كبرى، تنضوي تحتها وحدات صغرى (الفونيمات)، ثم وحدات أصغر (الفونات)، وبهذا نوضح موقع المورفيم من الفونيم والفون في الشكل الآتي:

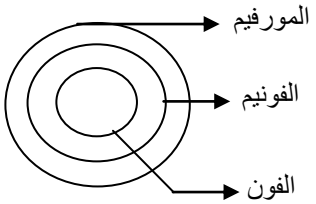

ومن مواقع تكوّن الصوائت في الجهاز الصوتي تتجلى علاقتها ببعضها البعض، كما يمثلها الرسم الآتي[٤]:

(١) الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ١٩، ٤٤٨.
(٢) أسرار العربية، ٦٣.
(٣) الوظائف الصوتية والدلالية، ٥٣.
(٤) مأخوذ من: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب بكوش، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ١٩٧٣م، ٤٨.

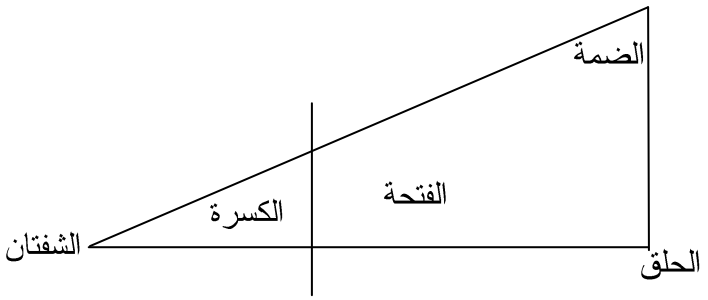

٢ــ التعليل بالمناسبة:

وهذه المناسبة يمكن النظر إليها من:

زاوية المبادئ الوظيفية:

تميز المنهج البنيوي بربطه بين بُني اللغة والسياق الذي تعمل فيه فالبُني الصياتية، والقواعدية، والدلالية، محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها.

والرسم التالي رسم بياني يوضح اللواصق الاشتقاقية(١).

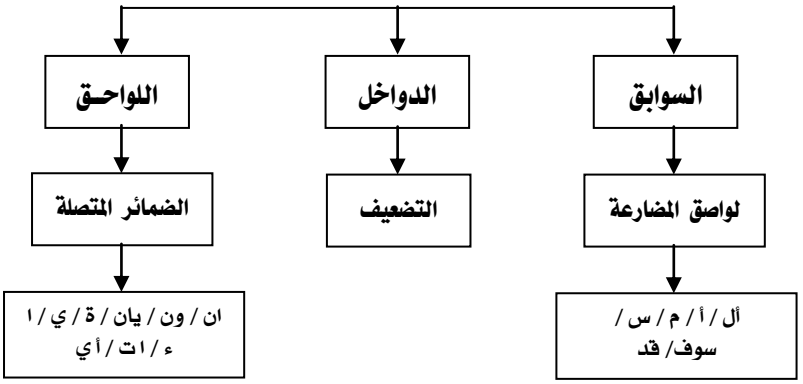

(١) وردت هذه الفكرة وبرسم مختلف قليلاً لدى أشواق النجار في كتابها دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، ١٧٣.

ومن خلال ذلك نستطيع وضع عدة مورفيمات تركيبية في بنية واحدة:

١ــ المورفيم الحر Free Morpheme:

يشمل الكلمات المفردة المستقلة، كضمائر الرفع المنفصلة. يقول السكاكي: "اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو إلى غيرهما بعد سبق ... وهو: أعني الضمير ينقسم إلى قسمين من حيث الوضع قسم لا يسوغ الابتداء به ويسمى متصلاً، وقسم يسوغ فيه ذلك ويسمى منفصلاً، وكل واحد منهما بحسب المراتب العرفية ...

المنفصلة المرفوعة، وهي أنا نحن وأنت أنتما أنتم أنت أنتم وهو هما هم هي هن ...

المنفصلة المنصوبة، وهي إياي إيانا وإياك إياكما إياكم إياك إياكن وإياه إياهما إياهم إياها إياهن ..."(١).

٢ــ المورفيم المقيد Bound Morpheme:

ويشمل علامتي الرفع في المثنى وجمع المذكر السالم، وأحرف المضارعة، وياء النسب والإضافة، ومورفيم الطلب السين وسوف. استفعل (سوف يعمل)، ومورفيم التعدي صيغة أفعل.

يقول السكاكي: "جمعا التصحيح، والمراد بهما نحو مسلمون ومسلمين مما يلحق آخره واو مضموم ما قبلها أو ياء مكسور ما قبلها ونون مفتوحة علامة للجمع ونحو مسلمات عما يلحق آخره ألف وتاء للجمع أيضًا"(٢).

(١) مفتاح العلوم، ٣٣.
(٢) المصدر السابق، ٣٠.

ويقول أيضًا: "النسبة وهي بيان ملابسة الشيء بطريق مخصوص.إما بصوغ بناء (كفعال) للذي له صنعة يزاولها ويديمها كعواج وثواب وبتات، و(كفاعل)، وهو لمن يلابس الشيء في الجملة كلابن وتامر ودارع. وإما بإلحاق آخر الاسم ياء مشددة مكسورًا ما قبلها كيمنِيّ وشامِيّ..."(١).

ويقول: وصوره: فعيليل: "كقريطيس وقنيديل..."(٢).

فهذه الكلمات تحولت الكسرة في القاف إلى ضمة مع وجود ياء التصغير، فالدراسة هنا دراسة مورفيمية من حيث دلالة الصيغة، وإن الياء مورفيم صوتي داخلي، ومشاركة الضمة الياء في تكوين شكل الكلمة.

٣ــ <u>المورفيم الصوتي ــ الداخلي</u>:

يمثل في اللغة العربية في جمع التكسير والتصغير، ويسمى الحشو (in fix) ومثاله في الإنجليزية: mom ، mem.

"فإن كانت (الواو) ساكنة قبلها ضم قلبتها لضعفها ياء لينة، تقول في عجوز: (عجيز)، وفي عمود: (عميّد)"(٣).

وقد نص السكاكي على هذا بقوله: "التحقير وهو فيما سوى الجمع لوصفه بالحقارة وفي الجمع لوصفه بالقلة ... وأما البدل غير اللازم فيرد يقال ميقن في موقن..."(٤).

---

(١) مفتاح العلوم، ٣١.
(٢) المصدر السابق، ٢٩.
(٣) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبدالقادر عبدالجليل، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م، ١٨٠.
(٤) مفتاح العلوم، ٣٠.

٤ــ المورفيم الإسنادي Zero Morpheme:

ويسمى المورفيم الصغرى ويختص هذا المورفيم بأنه مورفيم تركيبي لا وجود له في الرسم الكتابي، إنما هو صورة في الذهن، مثاله: الضمائر المستترة، والصيغ في المشتقات، والإسناد في الجملة، مثال: أنت فعلت، مورفيم الغائب، ومنه المورفيم الصغرى للمفردات الآتية: (مفعال، مفعل، مفعيل، فعال، فعول)، وهي صيغ المذكر والمؤنث(١).

يقول السكاكي: "وهي بعد الكسر والياء بعد الضم ساكنتين غير مشددتين تبدلان ياء وواو كميعاد..."(٢).

قوله: "ميعاد "قلب الواو ياء يدلُّ على أن الكسرة لَمْ تحدث قبل الميم؛ لأنها لو كانت حادثة قبلها لم تك الواو فكان يجب أن يقال: مِوْعاد، وذلك أنك إذًا إنما تقلب الواو ياء للكسرة التي تجاورها من قبلها"(٣).

وهنا نلاحظ الواو ساكنة غير مشددة وقبلها كسرة والأصل مِوْعاد بدليل الوعد، فلذلك قلبت الواو ياء(٤).

فهذه دراسة تشمل الجانب المقطعي، والجانب المورفيمي وقد جاء النسيج المقطعي لها على النحو الآتي: مِوْعاد miw/caaol ميعاد mii/caaol.

وبناءً على الظاهر من النسيج المقطعي لهذه البُنى، نجد أن الواو، وهي نصف حركة وقعت ساكنة في نهاية مقطع، فضعفت، فقلبت إلى كسرة

(١) دلالة اللواصق التصريفية في العربية، أشواق النجار، ١٧٣.
(٢) مفتاح العلوم، ١٠.
(٣) الخصائص ٢/٢٢.
(٤) النحو الوافي، عباس حسن، ٤/٧٧٨.

قصيرة، كونت مع الكسرة السابقة لها كسرة طويلة، وقد أدى هذا القلب إلى إحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة.

والجانب المورفيمي: أصل الفعل: وعد، ووجود الميم في أول الكلمة (موعاد) مورفيم مقيد سابق، ووجود الألف في وسط (موعاد) مورفيم صوتي (حشو)، وبيانه كالتالي:

الواو موجودة قبل المورفيم السابق، (وعد) ووجود كسر وهي صوت صائت بعد الواو والصائت لين يحدث خللاً في النطق؛ ولذلك استبدلت الواو بالياء؛ وقد يأتي المورفيم أقوى ويستدل عليه من طبيعة الائتلاف بين عناصر التركيب في البنية، كعدم ظهور الفاعل من المفعول(١).

الأبعاد البنيوية:

لقد أحاط السكاكي هذه القاعدة بآليات كثيرة وما جاء عنده لا يختلف عن المحدثين وقواعده تقوم على أسس تعليمية ومن خلال النظر في هذه القواعد البنيوية نلحظ التالي:

- أنَّ المورفيم يغير وحدة الموضوع في الصيغ الصَّرفية، تختص مجموعة الصور داخل بنيتها التركيبية، وتؤدي إلى تغير المعنى الدلالي المتغير. "يتكون المورفيم من الفونيمات اللغوية المختلفة، حيث ترتبط أصوات الفونيمات في تنويعه لا نهائية لشكل المورفيمات ... وفي اللغة العربية يتكون (المورفيم) تبعًا لعدة قوانين، صوتية ولغوية"(٢).

(١) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبدالصبور شاهين، ١٩٠ (بتصرف).
(٢) أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط مصر، ١٩٩٤م، ١٢٦.

- أن دراسة المورفيم تحدد لنا التعريف بالمباني الصرفية[١]، ومعانيها الوظيفية، وهي:

١ـ الوظائف الصرفية للكلمة.

٢ـ الوظائف النحوية للكلمة.

- المورفولوجيا تهتم بدراسة بنية الكلمة من حيث: تصريفها، للدلالة على الزمن، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، ويتحقق ذلك عن طريق اللواصق التصريفية، كالألف والنون للدلالة على التثنية، والسين للاستقبال.

- الوظائف الصرفية للكلمة تعني المعاني المستفادة من الأوزان المجردة مثل: اسم الفاعل، اسم المفعول، وظيفة المورفيم، تقسيم الكلمة إلى عناصر، ثم يقوم بتصنيف العناصر المكونة لها على المستوى الصوتي ـ الفونولوجي ـ حيث التعرف على الفونيمات المكونة لها.

- المورفيم جزء من البنية الإعرابية المستعملة.

- البنيوية تتضمن أبنية صرفية ذات وظيفة نحوية (infection morphology)، أي أن المراد بالتصريف ليس علم الصّرف البحت، وإنما المقصود به هو تعريف البنية من حالة إلى أخرى في تنوع صوتي.

---

(١) الكلمة: دراسة معجمية لغوية صوتية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ٥٧.

المبحث الثالث

بنيويـــــــة التراكيـــــــب

تشكل مادة النحو العربي بعد تحليل المواد المستقرة أربعة اتجاهات:

١ــ نحو المسائل: وهو ينظر إلى النحو على أنه سلسلة من المسائل، فيبحثها كل مسألة على حدة، فمسألة في رفع الفاعل، وثانية في ضرورة تأخره من الفعل، وثالثة في علاقته بالمفعول(١).

٢ــ نحو الأبواب: وهو اتجاه يراعى تشكيل المادة النحوية في الغرض أو تكون على أبواب متعددة كل باب يشكل وَحْدَة داخلية علمية تنسلك فيه مسائله بمنهج علمي في ترتيبها(٢).

٣ــ نحو الأحوال: وهو تشكيل المادة النحوية وفق الأحكام الإعرابية الأربعة: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات(٣).

٤ــ نحو الظواهر: يقصد به تشكيل المادة النحوية وفق ظواهر العربية التركيبية كالتقديم والتأخير، والنفي والحذف وما شابه ذلك(٤).

فتنوع اتجاهات تشكيل مادة النحو العربي، كانت تنصب نحو هدف لغوي سليم، هو إقامة بنية تركيبية سليمة تتألف من جميع الأركان الملازمة لها، من فعل وفاعل ومفعول، ظروف وأدوات، فإلى أي باب ينتسب؟ وما

---

(١) التفكير العلمي في النحو العربي، حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر، ط١، ٢٠٠٢م، ١٥٠.
(٢) المصدر السابق، ١٥١.
(٣) السابق، ١٥٢.
(٤) السابق، نفس الصفحة.

حالته الإعرابية؟ وما الموقع الذي يحتله في ذلك التركيب من تقديم وتأخير، ذكر وحذف؟... إلخ.

والسؤال المطروح: هل يقوِّم التركيب النحوي مادة جديدة على مستوى دلالته في ضوء النظرية البنيوية؟

لقد اتجه الاهتمام بالتركيب مع البدايات الأولى لظهور التفكير البنيوي، فقد أعطى السكاكي ملاحظات مهمة في هذه الميدان؛ وذلك لأن نظرته كانت إشارة لضرورة الاهتمام بالتركيب، واعتباره السبيل المفضية إلى المعنى، لكن من دون أن ننسى أن هذا المعنى تتنازعه أطراف أخرى إضافة إلى طبيعة التركيب الشكلية؛ وذلك أن كل لغة "تعرض المعاني والدلالات بطرق خاصة ونحن نتلقى تلك المعاني والدلالات بالترتيب الذي يقدمه لنا الكلام، أي في الصور والأشكال التي يظهر فيها الكلام هذه الصور والأشكال، أو أقل من هذا التركيب والتأليف هو الذي يتمثل في النظام النحوي للغة ما"(١).

فالنظام النحوي هو الذي يضمن طرق وأساليب التركيب اللغوي وفق اللغة المعينة. ويعوّل فرديناد دي سوسير على أهمية اللغة باعتبارها نظامًا لغويًا في بيان المعاني التي سماها أفكارًا، فقد "اتفق الفلاسفة وعلماء اللغة دائمًا على أنه لولا الإشارات لما استطعنا أن نميز تمييزًا واضحًا، ثابتًا بين فكرتين، فلولا اللغة، أصبحت الفكرة شيئًا مبهمًا"(٢).

(١) مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ١٠٩.
(٢) علم اللغة العام، دي سوسير، ١٣١.

ولقد أكدت بعض الدراسات[١]، أهمية إقامة نظام الجملة على معيار الإسناد؛ لأن ذلك يخلصها من كثير من الإبهام والخلط في الوصف، ويجعلها تقوم على وصف نحوي ثابت.

قامت نصوص (مفتاح العلوم) على مجموعة من التراكيب لم تتصف بسمات الدلالة النحوية فقط، وإنما تجاوزت ذلك إلى بنيويات متعددة أيضًا.

وتأسست نصوص (مفتاح العلوم) على بنيويتين كبيرتين، هما:

أ) البنيوية الإسمية.

ب) البنيوية الفعلية.

أ) <u>البنيوية الإسمية</u>:

تستند دراسة النحاة لعناصر الجملة إلى تصور عام لمختلف مكوناتها يتمثل في تصنيفها إلى ثلاث مجموعات كبرى: العمدة، والفضلة، والإضافة. والإضافة نوعان: الإضافة بحروف الجر، والإضافة بالحروف الزائدة عن الجر وقد يكون لحرف الجر دلالة في التأويل والإضمار، يقول السكاكي: "وكما ينتصب المفعول به عن العامل مظهرًا ينتصب عنه مضمرًا سواء لم يلزم إضماره... أو لزم وفي باب التحذير إياك وعمرًا والأسد الأسد، وما شاكل ذلك"[٢]. كأنك قلت: إياك باعد، فحذف الفعل واكتفى بـ(إياك) عنه[٣].

---

(١) ينظر مثلاً: دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية ــ التراكيب النحوية والتوليدية ــ علم النحو وعلم المعاني)، عبدالحميد السيد، دار حامد، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ٥٨.

(٢) مفتاح العلوم، ٤٤.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش، م. المنيرية ٢٥/١.

هذا النص له دلالته من حيث التركيب، إياك ضمير نصب منفصل مفعول، وعمرًا مفعول ظاهر، أي: وجود مفعولين في جملة واحدة أحدهما ظاهر، والثاني مضمرًا، أمّا من حيث الدلالة، فذلك شأن المدرسة التوليدية التحويلية فهي تقبل الإضمار(١)؛ لذا اعتبر إنتاج النص نشاطًا تفاعليًا يتفاعل من خلاله الكاتب/المتكلم مع القارئ/المتلقي، إما على مستوى الاستماع أو المتابعة وأيضًا إذا كان النص خطابًا يلقي مشافهة.

ويشير فولف جانج هانيه مان (Volfgang Heinemann)، وديتر فيهجر (Dieter Viehweger)، إلى أن إنتاج النص "هو باستمرار نشاط تفاعلي مرتبط بشريك ويحدث دائمًا بالنسبة إلى شركاء الاتصال الذين يتصل بهم النشاط اللغوي لمنتج النص بشكل متباين"(٢).

وفي كلتا الحالتين فإن النص يتأسس تبعًا لحاجة ما، وذلك أن منشئ الخطاب سواء كان نصًا مكتوبًا أم منطوقًا، لابد أن تكون الحاجة التفاعلية تواصلية أو الاجتماعية هي التي جعلته ينشئ نصه.

وسأعالج في هذا المبحث الجملة ودلالتها، وأثر هذا التوليد الدلالي(٣)، في الدلالة النصية:

---

(١) أثر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي، د. بكري محمد الحاج، الجامعة الإسلامية، السودان، ١٩٨٨م، ٢٢ــ٢٥.

(٢) مدخل إلى علم اللغة النص، فولف جانج هانيه، وديتر فيهفجر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ٩٩.

(٣) التوليد الدلالي: "إبداع المتكلم لدلالات معجمية، وتراكيب دلالية جديدة، تختلف عن تلك الدلالة التي تفيدها الوحدة أو البنية المعجمية المعروفة والمألوفة بين أفراد الجماعة اللغوية، حيث يقوم أفراد هذه الجماعة اللغوية بتوليد معانٍ جديدة تحمل قيَمًا دلالية جديدة، لأبنية معجمية موجودة من قبل، استوجبتها سياقات ومقامات وظروف وملابسات لغوية، لم تكن تتحقق في مدلول البنية المعجمية قبل ذلك". (ينظر: التوليد الدلالي: دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، حسام البهنساوي، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٣م، ١٠).

أشار السكاكي في مفتاح العلوم إلى هذه الخاصية بقوله: "... والإسناد هو تركيب الكلمتين أو ما جرى مجراهما على وجه يفيد السامع كنحو عرف زيد ويسمى هذا جملة فعلية أو زيد عارف أو زيد أبوه عارف ويسمى هذا جملة اسمية، وإن تكرمني أكرمك، وإن كان متى زرتك فهو السبب لرؤيتك، فمتى لم أزرك لم أرك، ويسمى هذا جملة شرطية أو في الدار أو أمامك بمعنى حصل فيها، ويسمى هذا جملة ظرفية دون نحو عارف زيد إذا أضفت أو زيد العارف إذا وصفت فإنك لا تفيد والعلم بجميع ذلك بديهي وهو الذي منع أن نحد الفائدة فيما نحن بصدده"(١).

الدراسة والتحليل:

كلام السكاكي في هذا الشأن يشير إلى أهمية العلاقات المترابطة في الجملة، فوجود الاسم في أول الجملة دلالة على تأكيدها، أما إن كان أولها فعل فهي دون شك مسند إلى الاسم،وهو محور الدرس البنيوي في كشف العلاقات بينهما، كما نفهم من هذا النص تنوع صيغ الجمل على النحو وإن تقديم الفعل على الفاعل، أو المبتدأ على الخبر، أو المفعول على الفاعل في بعض الجمل، دلالة على أن العلاقات هي التي تنظم النص اللغوي، فمن ذلك قول السكاكي:

ـ زيد أبوه عارف:

هذه الجملة تتكون من ثلاثة أسماء ووصف (اسمين وضمير واسم فاعل)، وهذه الجملة خالية من الفعل، إلا أن هناك علاقة بين الفعل والوصف المشتق (اسم الفاعل "فاعل") وهي علاقة وظيفية.

(١) مفتاح العلوم، ٤٢.

وهناك علاقة بين الاسمين: زيد، أبوه، هي الضمير، العلاقة هنا علاقة تلازمية، علاقة مباشرة، كذلك هناك علاقة إعرابية وهي الرفع في كل من زيد أبوه.

أمّا قوله: عرف زيد:

فالعلاقة بين الكلمتين في الجملة علاقة تضمنية، يعني أن العلاقة بين زيد علاقة تقدير وتداخل في إطار الإسناد وكذلك في كل الأمثلة الباقية "ولهذا يقدر في نحو زيد ضرب ضمير..."(١).

الضمائـــــر:

كما أن الدراسة البنيوية توزع الأدوار التي تقوم بها الضمائر في التركيب، وما جاء في مفتاح العلوم دليل على ذلك، يقول السكاكي: "ولا يصح تقديم شيء مما هو في حيزه عليه، كما لا يصح تقديم منصوبه على المرفوع تقديرًا في الضمائر من نحو ضربتك أو إياك وهو المختار"(٢).

الدراسة والتحليل:

فكلمة (ضربتك): جملة مركبة من تاء المتكلم وهي فاعل، والكاف ضمير مخاطب مفعول به، ففيها مراعاة للضمائر من حيث الزمن الحضوري والزمن الغيبي، وتركيب (التاء مع الكاف) يعني أنهما يقومان بدلالة وظيفية ودلالة دلالية يقصد بها معنى(٣).

---

(١) مفتاح العلوم، ٤٢.
(٢) مفتاح العلوم، ٦٠.
(٣) كتاب الجمل في النحو، الخليل الفراهيدي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥م، ٤٠.

فهذا النص السابق في مفتاح العلوم دليل شاهدُ على قوة التركيب البنيوي عند السكاكي، لكن من الجائز أن يتساءل الفرد عن سبب ترتيب الوظائف في العبارة السابقة (ضربتك)، فمعنى التركيب تعاقب الضمائر جملة (ضربتك) تاء المتكلم وكاف المخاطب؟

الإجابة أن اللغة العربية لغة إعرابية، بمعنى أن الأحكام الإعرابية وعلاقتها هي التي تعرف الوظائف من خلال التحليل البنيوي.

فالتقابل الثنائي موجود بين الصوت وأثره الدلالي، أو الصورة الذهنية[١]، "فهناك تشابه مزدوج بين المعنى والمبني طورًا وطورًا آخر في الشكل أو في المعنى ليس غير ..."[٢].

والملاحظ أن كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات المستبعدة، فالتركيب متوقف على انتقاء المتكلم وخياراته مضافًا إليها متطلبات الموقف التي تدفع المتكلم إلى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الإبلاغي.

ب) <u>البنيوية الفعلية</u>:

كما يتبين لنا أن للكلمة دورًا مهمًا ولها علاقات مصاحبة مع الكلمات الأخرى، فالمفردات تقدم لنا تفسيرًا كافيًا لكل كلمات النص، وفيما يلي توضيح ذلك:

يقول السكاكي: "اعلم أن الفعل الذي يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه؛ لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث ألا ترى أن قولك قد

(١) محاضرات في الألسنية العامة، ١٥٢.
(٢) المصدر نفسه، ١٥٨.

ذهب بمنزلة قولك قد كان منه ذهاب"[١]. هنا تظهر لنا علاقة التركيب البنيوي في معرفة (اسم الحدثان) وهي المصادر، ويقصد بها المفعول المطلق، ويتأكد هذا من نصوص (مفتاح العلوم).

ـ المفعول المطلق:

"وأما النصب فلما يتصل به بعد الفاعل من غير التوابع له: أعني للفاعل وهو ثمانية أنواع: أحدهما المفعول المطلق وهو ما يدل على مفهوم الفعل مجردًا عن الزمان كنحو ضربت ضربًا"[٢].

ضربت ضربًا: جملة فعلية تتركب من فعل + فاعل + مفعول مطلق الحدث في الفعل الواقع للمفعول، والوصف اختص بخاصية الاسم التي هي التنوين.

ـ المفعول له:

يقول السكاكي: "وهو علة الإقدام على الشيء مما يجتمع فيه أن يكون مصدرًا فعلاً للمقدم ومقارنًا للمقدم عليه كنحو أتيتك إكرامًا لك، وتركت الشر مخافة كذا"[٣].

نفهم من ذلك أن التركيب البنيوي للجملة يقتضي الملازمة[٤] من حيث التمام.

(١) مفتاح العلوم، ٤٣.
(٢) السابق، ٤٣.
(٣) السابق، ٤٣.
(٤) السابق، ٤٣.

ـ المفعول فيه:

يقول السكاكي: "وهو الزمان الذي يوجد فيه الفعل مبهمًا أو مؤقتًا نكرة أو معرفة، كنحو جلست مكانك أو خلفك أو يمينك"(١).

ـ المفعول به:

يقول السكاكي: "وهو ما يتعدى الفعل فاعله إليه ويكون واحدًا كنحو: عرفت زيد واثنين إما متغايرين كنحو: أعطيت زيدًا درهمًا، وإما غير متغايرين، وذلك في سبعة أفعال تسمى أفعال القلوب..."(٢).

فهناك علاقات بنيوية نجدها في الجملة الفعلية بين الفعل والمفعول:

١ـ فالعلاقة بين الفعل والمفعول المطلق، علاقة تلازمية (التوكيد).

٢ـ فالعلاقة بين الفعل والمفعول له (علاقة السبب والغاية).

٣ـ فالعلاقة بين الفعل والمفعول فيه (الظرف، علاقة الزمان).

٤ـ فالعلاقة بين الفعل والمفعول به (علاقة المكان).

ومن هذه اللمحة السريعة لهذه المفاعيل يتبين أنه لابد أن: "تستند الوظيفة للمفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثاني للوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة الدال عليها محمول الحمل"(٣)، هذه المفاعيل تأخذ حالتها الإعرابية، ووظائفها النحوية بمقتضى دلالاتها النحوية وموقعها في البنية الجملية، أي أن لها وظيفة تركيبية نحوية، حيث نجد السكاكي قد ميز دلاليًا المفعول به، المفعول فيه، المفعول المطلق ... إلخ.

---

(١) مفتاح العلوم، ٤٤.
(٢) المصدر السابق، ٤٣.
(٣) من البنية الجملية إلى البنية المكونية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٧م، ٦١.

ــ كما يظهر كذلك أن الوظيفة البنيوية للمفعول "تأخذ العلامة الإعرابية النصب، والنحاة برروا حكم النصب في هذا الصنف من المكونات بتعددها، ومن ثمة كثرتها في الاستعمال(١).

ومن هنا كان لزامًا القول بأن هناك صلة وثيقة بين الفعل والمفعول، كما وجدت بين الفعل والفاعل، والنحاة أكدوا أن الفعل يقتضي المفعول اقتضاءه للفاعل(٢).

ــ حَيز المفعول عند السكاكي وفي البنيوية، لا يخرج عن نطاق إتباعه بالفاعل، إلا أن الفرق الجوهري يكمن في التصنيف:

ــ السكاكي لا يفرق بحكم الوظيفة التركيبية بين المفعولات، ولكن الفرق الجوهري يكمن في سمة الدور الدلالي الذي يؤديه كل مفعول من المفعولات في بنية الجملة، وبهذا فإنه يظهر بأنه قد أخذ بنظرة غيره من النحويين الذين سبقوه في الميدان، أما في النظرية البنيوية نجد التمييز بحكم الوظيفة التركيبية بين المفعولات.

وهذه الدراسة البنيوية كفيلة وحدها بالاقتران بالعلاقة الإعرابية الملائمة، وتقوم بدراسة عناصر الجملة بحيث لا عمدة ولا فضلة في هذا النص، إنما يقوم على الإسنادية، التخصصية، والتبعية(٣)(٤).

---

(١) ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، المنصف عاشور، ٣٨١.

(٢) السابق، ٣٨١.

(٣) ينظر: العامل بين الاقتصاد والتطبيق، محمد الفاسي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ٣٨.

(٤) التبعية الإسنادية الفعلية + التخصيص المفعولية ــ التبعية الجر ــ الإضافة.

الجملة الإنشـــــائية:

إن مصطلح (الطلب) أو (الإنشاء)[١] أسلوب لغـوي ذو مفهـوم عـام فحواه عند السكاكي أنه "ما يستدعي مطلوبًا"[٢]، وأن يكون مطلوبـه "غيـر حاصل وقت الطلب"[٣]، ويعتقد السكاكي أن هذا ليس تعريفًا له، وأن الطلـب لا يعرف؛ لأن حقيقته "معلومة مستغنية عن التحديد"[٤].

ويميز السكاكي بين الأغراض اللاصقة بالصيغ الجمليـة والأغـراض التي تدل عليها الصيغ في طبقات مقامية معينة، يطلق على الفئة الأولى من الأغراض مصطلح (الأغراض الأصلية)، ويسمى الفئة الثانيـة (الأغـراض الفرعية). أما الأغراض الأصلية عنده فهي خمسة أغراض: (الاسـتفهام)، و(التمني)، و(النداء)، و(الأمر)، و(النهي). هذه الأغراض تجري على أصلها إذا كان المقام (مقتضى الحال) ملائمًا لشروط إجرائها على الأصل، وتُكـوِّن شروط إجراء هذه الأغراض على أصلها نسقًا متماسـك العناصـر يمكـن توضيحه عن طريق الرسم الآتي[٥]:

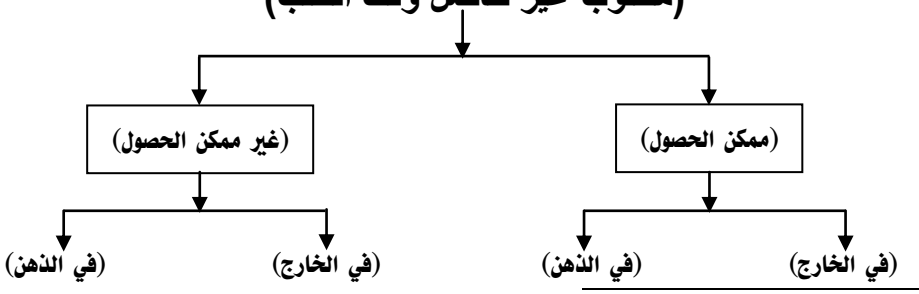

(١) لم يحظ مصطلح الإنشاء بالرواج في مصنفات الأولين، فكان قسيم الخبر لديهم هو الطلب، فلا نجد للإنشاء ذكرًا عند الكثير من أرباب المعاني، فقد عبر أغلبهم عنه بمصطلح الطلـب وهنا نلاحظ السكاكي يقول: "ثم إن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفترقان بـاللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب في الطلب. (مفتاح العلوم، ٩٣).
(٢) مفتاح العلوم، ٣٠٤.
(٣) السابق، ٣٠٢.
(٤) المصدر السابق، ٣٠٢.
(٥) اللسانيات الوظيفية(مدخل نظري)أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، الرباط،١٩٨٩م، ٣٧.

ويشمل هذا الضرب مجموعة من الظواهر المتنوعة بتنوع صيغ الكلام، ومنها:

الاستفهام:

يجري الاستفهام على أصله (يكون دالاً على سؤال حقيقي) إذا أنجزت الجملة الاستفهامية في مقام يطابق الشروط (مطلوب غير حاصل وقت الطلب)، (ممكن الحصول)، (في الذهن) كما هو الشأن بالنسبة للجملة: متى ستعود هند من السفر؟

ولا يطابق المقام شروط إجراء الاستفهام على أصله حين تختل أحد هذه الشروط فيمتنع إجراء السؤال، وتنتقل الجملة من الدلالة على هذا الغرض الأصلي إلى الدلالة على الغرض الذي من شروط إجرائه عكس الشرط المختل، فيغدو العلم بالمقاصد ضرورة أساسية في تحقيق الخطاب[١]، وإيصال المتكلم مراده إلى سامعه، كما يُعُّد مقومًا من مقومات الدلالة عند علماء العربية؛ لذا نجد السكاكي في مواضع عدة من كتابه (مفتاح العلوم) يشير إلى المقصد العام في آيات الذكر الحكيم، وعلاقة التركيب بالدلالة.

والمثال الذي أورده السكاكي في بيان هذا الغرض قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[٢]، فالاستفهام هنا عن سبب عدم رؤية الهدهد يستلزم الجهل به المناسب للتعجب عن المسبب، أي عدم رؤية الهدهد، ولقد ذهب الزمخشري لبيان هذا المعنى بقوله: أنّ

(١) الخطاب: تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب، أي أنه فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية (ينظر: تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٧م، ٤٤).
(٢) سورة النمل: الآية (٢٠).

سليمان لّما "نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر يستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنّه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له"(١)، فخرج أسلوب النفي عن حقيقته إلى الاستفهام".

ويواصل السكاكي في بيان خروج الاستفهام إلى إيراد معنى التعجب قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، "ووجه تحقيق ذلك هو أن الكفار حين صدور الكفر منهم، لابدّ من أن يكونواْ على إحدى الحالين: إمَّا عالمين بالله، وإمَّا جاهلين به، فلا ثالثة، فإذا قيل لهم: (كيف تكفرون بالله) وقد علمت أنَّ كيف للسؤال عن الحال، وللكفر مزيد اختصاص بالعلم الصانع وبالجهل به، انساق إلى ذلك فأفاد: أفي حال العلم بالله تكفرون؟ أم في حال الجهل به؟ ثم إذا قيد: (كيف تكفرون بالله) بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣)، وصار المعنى: (كيف تكفرون بالله) والحال حال علم بهذه القصة وهي أن كنتم أمواتًا فصرتم أحياء، وسيكون كذا كذا، صير الكفر أبعد شيء عن العاقل، فصار وجوده منه مظنة التعجب"(٤)، ويمكن تفصيل ذلك كما يلي:

أ) حال الكفار حين صدور الحكم منهم لا يخرج أمرهم عن حالين:

ــ إمَّا حال علم بشأن الله. ــ وإمَّا حال جهل بذلك الشأن.

(١) الكشاف، مكتبة مصر ٣١٦/٢.
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨).
(٣) مفتاح العلوم ١٥٠، ١٥١.
(٤) السابق، الصفحة نفسها.

ب) كيف: للسؤال عن الحال، فكأنه قال: أفي حال العلم تكفرون أم في حال الجهل بشأن الله؟

ج) قيد السؤال بحال معلومة لديهم: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، و(كيف تكفرون بالله)؟ والحال حال علم بهذه القصة المعلومة.

د) صار الكفر أبعد شيء عن العاقل، فصار وجوده مَّظَنَّة التعجب إذ الحالة تأبى أن لا يكون للعاقل علم بأنَّ له صانعًا قادرًا عالمًا حيًا سميعًا... فصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وإنكار وتوبيخ.

ويبرهن (كوهن) على ذلك من خلال علاقة التركيب بالدلالة، فيقول: "إنه لمن قبيل المحال صياغة جملة اعتمادًا على وصف الكلمات المأخوذة من المعجم مباشرة، واحتمال تركيب جملة بأخذ الكلمات صدفة من المعجم ووضع بعضها إلى جانب بعض"(١). وهذا ما قصده السكاكي حينما قام بتوزيع العناصر اللغوية لهذه الآية القرآنية.

إن ما يمكن ملاحظته في هذا التحليل:

ـ أن السكاكي سلك فيه مسلكًا استدلاليًا حجاجيًا لا يخلو من التماسك إذا اعتبر أنَّ العامل الأكبر في توليد هذه المعاني: التعجب والتعجيب والتوبيخ والإنكار، يتمثل في حال المخاطبين وهي حال يتوصل إليها بالذكر وقد تمثل ذلك في العمدة والتوسعة التي هي قيد حالي لها، كما انتهى إلى اجتناء معان مختلفة كاختلاف التعجب عن التعجيب، إذ في

(١) بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م، ١٢.

التعجب انفعال ودهشة تقف عند المتكلم، وفي التعجيب حمل للغير على الانفعال والدهشة وكاختلاف الإنكار عن التوبيخ فهما معنيان يختلف أحدهما عن الآخر، ويختلفا معًا عن التعجب والتعجيب، وإن كانت جميع هذه المعاني مترابطة على سبيل التشارط والاقتضاء والاستلزام(١).

ـ عناية السكاكي بهذه المعاني الإنشائية من منطلق ما كان لها من دلالات نحوية وضعية أولاً، وما يمكن أن تستخدم منه من أغراض سياقية مقامية مختلفة عن معاينها الأول في مستوى ثان، وفي المقابل لم يتفطن الدرس اللغوي في الغرب إلى دراسة الإنشاء إلا في أواخر الثلث الأوَّل من القرن العشرين، ولم يتعمق في دراسته إلا في بدايات النصف الثاني منه، ونقصد أساسًا عمل أوستين J. Austin (١٩١١ـــ١٩٦٠) الذي نشر لأول مرة سنة ١٩٦٢ حيث: "حاول أن يضيف إلى الجهاز المفاهيمي للغة خاصية ربط اللغة عبر أفعالها بالعالم أو بالواقع فكل الجمل اللغوية عدا ما تعلق منها بالجمل الاستفهامية والتعجبية والآمرة، تجد لها سندًا في الواقع حيث يمكن التأكد من صدقها أو من كذبها، مع ذلك فهناك جمل خبرية وذات علاقة بالعالم لا يمكن الحكم عليها لا بالصدق ولا بالكذب يسميها أوستين الجمل الوصفية (constatifs) وهناك جمل أخرى هي على النقيض من ذلك، أي أنّه لا يمكن تطبيق معيار الصدق والكذب عليها يسميها المنطوقات الإنشائية أو الإنجازية (enoncees performatifs)، وحاول أن يضع الفوارق الدقيقة بينهما"(٢).

(١) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد، تونس، جامعة منوبة، ٢٠٠٢م، ٨٩.

(٢) فلسفة التواصل، جان مارك فيري، ترجمة: عمر مهيبل، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م، منشورات الاختلاف، ١٢.

الأبعاد البنيوية للاستفهام عند السكاكي:

إذا ما التفتنا إلى تراثنا اللغوي بشكل عام وجدناه يسير في اتجاهين بارزين يماثلان اتجاهي النظريات اللسانية المعاصرة(١):

- أولهما: يُعني بالنظام اللغوي الذي يشمل أنظمة فرعية صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، لكل منها مكوناته وعناصره، وعلاقاته بالمكونات والعناصر الأخرى داخل النظام الفرعي، ثمَّ علاقة كل نظام فرعي بالآخر دون الالتفات إلى مقتضيات المقام وقرائن الأحوال.
- ثانيهما: يُعني بالمقام وما يتصل به من قرائن غير لفظية تشمل منزلة المتكلم والسامع وعلاقة كل منهما بالآخر، وحالة كل منهما النفسية والذهنية وحركاته الجسمية وسكوته، والبيئة المكانية التي تشهد الحدث اللغوي وجمهور المشاركين فيه.

والنص الذي نحن بصدد الإطلاع عليه، وجدناه يقوم على اعتبار النحو عنصرًا تحليلاً من جملة سائر العناصر داخل النظرية العامة للوصف اللساني، حيث يجعل السكاكي من البنية النحوية مستوى من مستويات الدلالة، وعنصرًا من عناصرها، يسهم مع العناصر الصرفية والمقامية في تكوين دلالة القول.

ولعلّ السكاكي أهم مَنْ عَرَض للأفعال الكلامية التي تجاوزت معناها الأصلي إلى معنى مقامي، كما تجاوز سرد الأغراض التي يخالف فيها ظاهر اللفظ مراد المتكلم إلى بيان كيفية انتقال المعنى الأصلي إلى المعنى المقامي، إذ نجده يشير في مناسبات عديدة إلى "أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام

(١) آفاق في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ٨٤، ٨٥.

التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذَم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ... وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"(١). وبهذا الشكل يمثل المقام وما يتعلق به من عناصر تواصلية دورًا مهمًا في الدلالة عند السكاكي. فالدراسة البنيوية تدرس المكونات الرئيسة في الكلمة ثم الجملة على أنها مبان صرفية (مورفيمية) تجسد أبوابًا في التحليل اللغوي على ضوء المنهج الوصفي.

"اللفظ المفرد من حيث هو لا يؤدي إلى معنى مفردًا، والمعاني المفردة لا تكون لغة، وإنما الجمل والتراكيب هي التي تكونها، فاللغة باعتبارها أداة للتفاهم قد حددت نقل المعاني من المتكلم إلى السامع بصور متعددة ومختلفة في تراكيب فعلية واسمية بما في ذلك من صلات وأسرار بين أجزاء الجملة"(٢).

فالعلاقة تحدد معناها وتبلورها في أداء المعنى، فيسهل الإدراك والفهم في تحديد المقام، يؤكد ذلك بعض الباحثين: "... إن الجملة المستخدمة للخبر أو للحال أو للنعت أو للصلة أو للمضاف إليه لا تسمى عندنا جملة مستقلة، بل هي (مركب إسنادي) للإخبار أو للحالية إلى آخره، ولكل من الخبر والحال والنعت، يمكن أن تطلب عليه خبرًا مركبًا أو نعتًا مركبًا، أما الصلة وجملة الإضافة لكل منهما تركيب متمم"(٣).

---

(١) مفتاح العلوم، ٨٠.
(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام (تعريف الكلم والكلام)، مقدمة الكتاب، ١٤٢.
(٣) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد حماسة عبد اللطيف، ٢٠١١م، ٦٠، ٦١.

وهنا تبدو لنا إشارات العلاقات التي تقع في تحديد الزمن الذي قيلت فيه الكلمة.

وبهذا تتمركز بؤرة[١] الأفعال الكلامية[٢] عند السكاكي في بؤرة اهتمامه بالأساليب الإنشائية من حيث البنية والدلالة والغرض أو القصد، ولعل دراسة نصه على ضوء هذا الفكر يُسهِم في اكتشاف وتثمين جوانب من الجهود المميزة التي بذلها علماؤنا تجاه الظواهر اللغوية وتفسيرها وتأويلها، و"تندرج ظاهرة (الأفعال الكلامية) تحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ(الخبر والإنشاء) أو (الطلب) بتعبير السكاكي وهو تعبير السواد الأعظم في تلك المرحلة)، وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر نظرية (الخبر والإنشاء) عند السكاكي ــ من الجانب المعرفي العام ــ مكافئة لـ: مفهوم (الأفعال الكلامية) (speech acts) عند المعاصرين"[٣].

بهذا، يتلخص عمل السكاكي فيما يأتي:

ــ عنايته بالكلام وما يعتريه من خروجه عن المعنى الأصلي إلى إيراد المعنى التداولي.

---

(١) البؤرة: "الحامل للمعلومة الأكثر أهمية والأكثر بروزًا في الجملة". (الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ ــ١٩٨٥م، ٢٤).

(٢) الفعل الكلامي: "التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"، ويراد من هذا التعريف: الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... (ينظر: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، يوليو، ٢٠٠٥م، ٤٩.

(٣) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ٤٩.

- تعليله للكلام وما يتعلق به بعنصري التخاطب (المتكلم والمخاطب)، وكذا حالتهما من علم وجهل في شأن الاستفهام.
- عنايته بالمقام الذي جعله مهمًا في تفسير المقاصد، وبالتالي ضبط معنى الخطاب بدقة متناهية.
- تحليله للظواهر يقترب إلى التحليل المعاصر، مع بعض من الخصوصية لهذا التراث الذي يجعله متميزاً يبرز جوانب من جهودهم تجاه الظواهر اللغوية.

المبحث الرابع

بنيويـــــــة الدلالـــــــــة

إذا تناولت البنية الصوتية الكلمة عبر أصوات منظمـــة مركبـــة، وإذا ناقشت البنية الصرفية معنى الكلمة في كونها اسمًا أو فعلاً أو حرفًـــا، وإذا عالجت البنية النحوية خصائص الكلمة النحوية من حيث جواز وقوعها فـــي مواقع معينة في الجملة وارتباطها بغيرها من الكلمات، فإن البنية الدلاليـــة تتمثل في تحديد دلالة الكلمة في سياقات متعددة تحديدًا دقيقًا(١)، فضلاً عـــن دراسة معنى التراكيب، وما يتعلّق به من القضايا اللغوية(٢).

إلى وقت قريب ظل البحث في الدلالة تتجاذبه علوم عدة، وخصوصًـــا علم النفس والفلسفة والمنطق وعلم اللغة، فكـــل اتجـــاه ينظـــر إلـــى هـــذا الموضوع من زاوية خاصة. من هنا لم تُدرس الدلالة كعلم مســـتقل خـــلال المراحل السابقة، غير أن موقف البنيوية من موضوع الدلالة تغير إلى حـــد ما، إذا افترضت نظريات عدة، منها:

نظرية لود فيتغنشتين (Wittgenstein) التي تعتمد الطريقة السياقية في دراسة المدلولات، فمعنى الكلمة يتحدد من خلال استعمالاتها، كما تبنـــي (بلو مفيلد) النظرية المقامية فأكد أن معنى ملفوظ معين يرتبط بالمقام الذي يوجه فيه المتكلم ذلك الملفوظ.

---

(١) التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م، ٩٢/١.

(٢) علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، نور الهدى لوشن، الإسكندرية، المكتب الجـــامعي الحـــديث، (د.ت)، ٢٠.

من أجل هذا تستعين فروع الدراسات اللغوية الأخرى بعلم الدلالة بغية الوصول إلى المعنى المنشود، كما يستعين علم الدلالة بها في التحليل الدلالي لتحقيق غايته وضبط نتائجه.

ومن هذا المنطلق بدأ اللغويون المحدثون في السنوات الأخيرة في القرن العشرين يتخطون دراسة بريال[1]، وتلك الدراسات المبدئية المرتكزة إلى العناصر الداخلية في الألفاظ إلى محاولة الكشف عن الظروف الخارجية المؤدية إلى التطور الدلالي للألفاظ، وتغير المعنى وانحرافه، منها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي، والنفسي والعاطفي، ومنها ما يتصل بالمظاهر الإنسانية. فهذا مما ترتب عليه ظهور اتجاه جديد في دراسة المعنى، وأخذت ملامح علم الدلالة تتأثر منذ النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ببروز دراسات عديدة، منها: ما ألفه أوجدن (C.K. Ogden)، وريتشارد (I.A. Richards) سنة ١٩٢٣م سمّاها (The Meaning of Meaning): معنى المعنى.

عناصر تحديد بنيوية الدلالة:

ـ المعنى القاموسي (المعجمي):

إن اللغة العربية ومن خلال هذه الوفرة المعجمية والثراء القاموسي ترتبط بظواهر تمثل دورًا فاعلاً من بينها:

---

(١) وضع ميشيل بريال (Michel Breal) (١٨٣٢ـــ١٩١٥م) مصطلح (Semantique) لكتابه المسمى بـ"(Essai desemantique) سنة ١٨٨٣م، هادفًا إلى تمييزه من فروع الدراسات اللغوية الأخرى والقواعد التي رسمها بريال في تطور الدلالة قائمة على أساس تاريخي لا وصفي. (ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٣٩٤هـ ـ١٩٧٥م، ١٤)، وينظر أيضًا: علم الدلالة: دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، ٢٣، وعلم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ٢٩١، ٢٩٢).

ـ المشترك اللفظي:

يقول ابن سنان الخفاجي: "... ربما عرض في وضع الأسماء المشتركة فائدة في بعض المواضع مثل أن يحتاج الناطق إلى كلام يؤثر أن يُكني فيه ولا يصرح فيقول لفظة ويوهم بها معنى قد قصد غيره ... وإن قلَّ الداعي إليه إلا في اليسير من المواضع فلم تجعل اللغة العربية خالية منها، بل فيها أسماء مشتركة لقولهم .. عين .. وما أشبهها"(١).

ويمكننا هنا أن نشير إلى أن السكاكي في (مفتاح العلوم) قد فرق بين الاشتراك اللفظي وبين التوسع المعجمي من خلال الاستعمال الاستعاري والمجازي(٢)، على سبيل المثال:

يحيل السكاكي الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾(٣)، من الجانب المعجمي بتفكيكه لأجزاء الاستعارة محددًا الدلالة المشتركة بين المستعار منه وهو (النار) والمستعار له (الشيب)، وهذه الدلالة هي (الانبساط) وهي وجه الشبه(٤)، أي تقدم النار وهي تأكل الأخضر واليابس، فكذلك الشيب ينبسط ويتقدم على سواد الشعر فيحيله إلى البياض، وكذلك النار تحول ما يحترق إلى رماد، فالبنية المعجمية هي التي حددت الدلالة المتصورة من هذه الاستعارة.

---

(١) سر الفصاحة، ٢٤.
(٢) مفاده أن "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة" (مفتاح العلوم، ١٨٢).
(٣) سورة مريم: من الآية (٤).
(٤) مفتاح العلوم، ١٨٣.

ويقسم السكاكي الاستعارة إلى أنواع على أساس معجمي من خلال ثنائية الحسي والعقلي، ومن حيث الدلالة المعجمية، كما يلي[١]:

في قوله ــ عز وجل ــ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٢]، الوحدة المعجمية (العقم) للدلالة على المنع من ظهور النتيجة.

وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[٧].

وهكذا يتتبع السكاكي هذه الآيات مبينًا علاقتها بالوحدات المعجمية[٨]، فالفروق المعجمية تلعب دورًا أساسيًا في التأثير الدلالي الذي تحدثه، وذلك من خلال الاستعمالات والسياقات المختلفة، وهذا هو التصور نفسه الذي طرحه الدرس الحديث، فقد ميز الكاتبان (جورج لايكوف)، و(مارك جونسون) بين الاشتراك اللفظي القوي والاشتراك اللفظي الضعيف، والاشتراك اللفظي عندهما هو: استعمال اللفظ نفسه للتعبير عن تصورات

(١) المصدر السابق، ١٨٣، ١٨٤.
(٢) سورة الذاريات: من الآية (٤١).
(٣) سورة يس: من الآية (٣٧).
(٤) سورة البقرة: من الآية (١٨٧).
(٥) سورة ق: من الآية (١١).
(٦) سورة الزخرف: من الآية (١١).
(٧) سورة الحاقة: من الآية (١١).
(٨) ينظر: مفتاح العلوم، ١٨٢.

مختلفة كما في (bank)، وهو صفة النهر، و(bank) وهو البنك الذي نضع فيه أموالنا.

أما موقف الاشتراك اللفظي الضعيف فأفضل من موقف الاشتراك اللفظي القوي؛ وذلك لأنه يسمح بإمكان وجود علاقات بين هذه التصورات، ففي ظل هذا الموقف بخاصة يمكن للتصورات المتنوعة التي يعبر عنها لفظ واحد أن تكون في عدد من الحالات مرتبطة بموجب المشابه، فباتخاذ الاشتراك اللفظي الضعيف علاقة المشابه منطلقًا يسلم أنها كافية لتفسير كل الظواهر ... إن هذا الموقف يدافع فقط عن إمكانية إدراكنا للمشابهات بين مختلف التصورات، وأن هذه المشابهات هي التي تفسر استعمال نفس الألفاظ للتعبير عن هذه التصورات المختلفة"[(١)].

ويمكننا هنا أن نشير إلى أن السكاكي قد فرق بين الاشتراك اللفظي وبين التوسع المعجمي.

ـ المعنى السياقي:

إن الناظر في اللغة العربية على وجه التقعيد والوصف والتفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية واستعمالاتها[(٢)]؛ وذلك لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم

(١) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ومارك جونسون، ترجمة: عبد اليد جحفة، دار تبقال للنشر، ط١، ١٩٩٦م، ١٢٢.

(٢) نظرية النحو العربي، في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، دار البشير، ط٢، ١٩٨٧م، ٨٨.

وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به"[١].

إنّ مراعاة هذه الاعتبارات المختلفة تمثل الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى، وتطبيق هذا المنهج ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر، كما ينبغي أن يصدق على النصوص ذات المقام المنقضي، والذي يمكن أن يعاد بناؤه بالوصف التاريخي، ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي، وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائمًا سببًا في قصور الفهم[٢].

ولما كانت الظواهر اللغوية خاضعة لضغوط مقامية واعتبارات غير لغوية، وكانت مراعاة هذه الاعتبارات ضرورية، وددت أن أقف عند فكرتي (المقام)، و(المتكلم والمخاطب)؛ نظرًا لما لهما من صلة بإيجاد الدلالات وتوجيهها بالتضافر مع المكونات الكلامية ذات الصلة بالبني النحوية:

نظرية المقامات ومقتضيات الأحوال:

مقتضى الحال مصطلح، مكون من مركب إضافي يُعرَّف بأنه: "... الاعتبار المعين الذي يستدعى مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسبة للحال، كالتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلاً".

(١) علم اللغة، د. محمود السعران، ٢٦٣.
(٢) اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ د. تمام حسان، ٣٧٢.

والحال: "هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال"(١).

إن الافتراض الأساسي ــ كما يقول جي آرفرث ــ أنّ كل نص يعتبر من مكونات ظرف معين(٢)؛ ولهذا لا يمكن بحال نكران دلالة السياق للنص اللغوي، وسياق الموقف الملابس به على العناصر النحوية من حيث: الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير.

لقد كانت فكرة السياق أو المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يبنى عليه الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال(٣).

وإذا كان تحليل المقال في سياقه المقامي واجبًا في اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والنفسانية، فإنه في مجال التحليل الأسلوبي أوجب، وسوف ترد الإشارة إلى أن الاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخالصة فحسب، بل تحكمها كذلك محددات المقام ونعني بها الخصائص التي تحدد الظرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام؛ لأن القيمة الفنية كما يقول حمادي صمود: قيمة سياقية تبرز من تلاحق عناصر النص وتماسكها ونظمها(٤).

---

(١) مقتضى الحال أعم من مقتضى الظاهر، فقد يكون مقتضى الظاهر أن يأتي التركيب على صورة، ولكن مقتضى الحال يدعو إلى غيرها، وعند ذلك لا تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا بالخروج عن مقتضى الظاهر، فكل كيفية اقتضاها الحال فهي مطابقة، سواء وافقت مقتضى الظاهر أو خالفته (ينظر: مقاييس البلاغة، الربيعي، ٥٧٥، ٥٧٦).

(٢) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد ــ العراق، ١٩٨٧م، ٢١٥.

(٣) اللغة العربية ــ مبناها ومعناها ــ، ٣٣٧.

(٤) التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٠م، ٥٢٨.

التحليل البنيـــــوي:

ليس ثمة انقطاع بين قديم ومحدث، أو بــين لغــة ولغــة، فالســياق التفكيري في حقل الدراسات اللغوية يكاد يتفق في جميع النواحي، ويتشــاكل في كل الرؤى؛ لذلك فالعلماء اللغويين نراهم يبحثون في مواضيع متداخلــة، متناغمة ومتكاملة يكمل فكر هذا الناقد فكر الآخر، ويوفه حقه مــن النظــر والتدقيق؛ لذلك فليس مستغربًا بأن يتوافى تفكير السكاكي البلاغي مع تفكير البنيويين من حيث تركيزهما معًا على المتلقي وتخويله فطنــة الاســتقراء الإبداعي القائم باستظهار خفايا الإبداع في النص التي تلتقي في النهــوض باستجلاء الظواهر اللغوية الكامنة في النص، ولا يمكن الســير فــي هــذا الاستجلاء إلا باستثمار عنصر السياق الذي هو عنصر أساس فــي تشــكيل النص اللغوي، "التوصل إلى أسرار النص الداخلية وبنياتــه يمثــل القــراءة الصحيحة التي تتوخّاها البنيوية، وتجعلها مدار منهجها التحليلي الذي يجعل من القارئ السلطة التابعة كسلطة النص.."[(١)].

لقد اهتدى السكاكي في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابسات كالسامع والمقام وظروف المقال، وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط، والأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ الفني في تراثه البلاغي العربي (مفتاح العلوم)، فقد اعتنى بدوره بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرًا بذلك إلى تأثير دلالة السياق اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث: الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما درسه

(١) من السياق إلى النسق، عبدالقادر عبّو، مجلة منون، ع٣، نــوفمبر، ســعيدة، الجزائــر، ٢٠٠٩م، ٢٥.

ما يعرف بعلم المعاني، إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل(١).

ورغم أن فكرة المقام عند العلماء القدامى عمومًا، والبلاغيين خصوصًا جاءت بمفهوم سكوني قالبي نمطي مجرد، كما يرى الدكتور تمام حسان(٢)، إلا أنها ظلت حاضرة بقوة تحت مسميات مختلفة مثل: (مراعاة المخاطب)، أو (الغرض)، أو (الحال).

ومفتاح العلوم يتوافر على هذه الخاصية، وسأذكر موضعين دالين على وعي السكاكي بأهمية فهم المقام لتفسير الظواهر النحوية؛ لأن النحو مبتغاه الدلالة (المعنى).

الموضوع الأول ـ التقديم والتأخير:

نص السكاكي على أنها ظاهرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق اللغوي من جهة ومراعاة مقتضيات الأحوال من جهة أخرى، وأنَّ هذا التقديم والتأخير يكشف عن قصد المتكلم وغرضه من خطابه، ففي قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣)، "يقولون أخرت صلة الشهادة أولاً، وقدمت ثانيًا؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الأخر اختصاصهم بكون الرسول ﷺ شهيدًا عليهم"(٤).

(١) مفتاح العلوم، ٨١ــ١٠٨.
(٢) الأصول، د. تمام حسان، ٣٨٨.
(٣) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).
(٤) مفتاح العلوم، ١١٢.

فالسكاكي يشير بوضوح لارتباط التقديم والتأخير بالجانب الدلالي وما يقتضيه من ارتباط ترتيب عناصر الجملة بهذه الطريقة بالمعنى المقصود، استنادًا للسياق العام الواردة فيه الآية الكريمة.

ومما يبين كذلك عناية السكاكي بدور السياق اللغوي في تحديد قصد المتكلم والإسهام في إفادة السامع معنى ما، تفسيره لآيتين كريمتين على وفق معطيات السياق، يقول: "ولله در أمر التنزيل وإحاطته على لطائف الاعتبارات في إيراد المعنى على أنحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال لا ترى شيئًا منها يراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف، إلا عثرت عليه مراعي فيه من ألطف وجوه، وأنا ألقي إليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لتستضئ بها (...) قال عز من قائل في قصة موسى: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾(١)، فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه، وقال في قصة رسل عيسى عليه السلام: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾(٢)، فقدم لما كان أهم، يبين ذلك أنه حين أخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية للرسل، وأنهم أصرواْ على تكذيبهم، وتهكموا في غوايتهم مستمرين على باطلهم، فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة، تلك القرية قائلاً: "ما أنكدها تربة، وما أسوأها منبتًا"(٣).

فالقصد من تأخير الفاعل في الآية الثانية لفت السامع (متلقي الخطاب) إلى سوء معاملة أهل القرية للرسل، وتكذيبهم لهم بإصرار، وبالتالي القصد هو بيان سوء منبت أهل القرية وبغضها، فكان السياق اللغوي كاشفًا لذلك ودالاً على المعنى لتتحقق الفائدة لدى السامع.

(١) سورة القصص: من الآية (٢٠).
(٢) سورة يس: من الآية (٢٠).
(٣) مفتاح العلوم، ١١٤.

وهو ما فتئت تؤكده اللسانيات التداولية[١]، فهذا (أوستين) يرى "أنَّ ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني، أو وروده فيه على وجه مخصوص"[٢]. وبذلك يُعد (أوستين) أول من لفت الأنظار إلى الوظائف العديدة التي تؤديها المنطوقات كجزء من عملية التواصل، وأشار بصفة خاصة إلى أن الكثير من المنطوقات لا توصل مجرد معلومات، بل هي تعادل الأفعال أو الأعمال، فعندما يقول شخص ما: اعتذر، أو أوعد بـ، أو أتكفل بـ، فإن هذا النطق يوصل للمخاطب بشكل مباشر واقعًا نفسيًا أو اجتماعيًا، فالاعتذار يتم عندما يعتذر شخص ما وليس قبل ذلك، وفي مثل هذه الحالة فإن القول هو الأداء"[٣]؛ لأنه يدل عليه مباشرة.

الموضوع الثاني ـ دلالة التحول (٤) في صيغ الأفعال:

التحول عن الصيغ الأصلية للأفعال في السياق النصي له مقاصد بيانية، يعمد إليه الناظم فيكشف عن وجه من وجوه البيان الدلالي الذي

---

(١) التداولية: تلك الدراسة التي تأخذ من فلسفة التخيل أو فلسفة اللغة، إطارًا كليًا في منهجها، ومعنى هذا أن التداولية لا تلق بالدراسة على جانب واحد فقط ـ المتكلم ـ مثلًا، وإنما تنظر من جانب المتلقي والمستمع ومجال الخطاب والحقل الدلالي المستعمل في ذلك المقام، حتى تظهر بوادر وملامح اللغة بشكل جيد، بل إن الوقوف على حقيقة اللغة عند الإنسان يستلزم معرفة وظيفتها، ودورها في عملية التواصل اللغوي اليومي. (ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: د. مصطفى غلفان، ٢٦٧).

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د.ط)، ١٩٩١م، ١٢٠، ١٢١.

(٣) معجم اللسانيات الحديثة، إنجليزي ـ عربي، سامي عياد حنا وآخرون، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ١١٢.

(٤) التحول: هو العدول والانزياح من خلال مخالفة البنية التركيبية السطحية للكلام، إلى المعنى الدلالي العميق، وتحميل الكلمة طاقة دلالية مغايرة لمقتضى الظاهر وفق قرائن سياقية وحالية "وربما كان مصطلح العدول من أقوى المصطلحات القديمة تعبيرًا عن مفهوم الانزياح". (ينظر: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م، ٣٧).

يفاجئ المتلقي، ويثير دهشته، لمخالفته القواعد المألوفة في العرف النحوي، فيأخذ التركيب معنى آخر هو الأساس غير المعنى الظاهر، فيجاوزه إلى دلالات أخرى، لا تفهم إلا من خلال القرائن الحالية والسياقية.

وقد حظي هذا المصطلح بعناية السكاكي، إذ ذخر كتابه (مفتاح العلوم) بهذه الظاهرة، فقد أدرك أنَّ ما في هذه المغايرات من انحراف عن القواعد المثالية عند النحاة جاءت لغايات جمالية قصدّية، فنبه إلى انتشارها، وبيَّن مواضعها، ومنها:

التحول عن الفعل المضارع إلى الفعل الماضي:

يرد هذا النوع من التحول في تراكيب كثيرة، إلا أن النحويين قد اختلفوا في هذه المسألة؛ فمنهم من أجاز العطف، عطف الماضي على المضارع، كالزمخشري[١]، والرضي[٢]، في حين نجد آخرين كالفرَّاء[٣]، وأبي حيان، وغيرهما قد منعوا العطف، فلجأواْ إلى تأويل الماضي بالمضارع؛ لينسجم السياق، وليتفق مع قواعدهم اللغوية ومقاييسها.

ويخبر بالفعل الماضي عن المضارع إذا كان الأخير من الأشياء الهائلة التي لم توجد والأمور المتعاظمة التي لم تحدث فتجعل عن ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه[٤]، كما يخبر بالماضي عن المضارع لغرض بلاغي، قال ابن القيم: "الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي

(١) الكشاف، ٣٩٨/٣.
(٢) شرح الرضي، لكافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي، (ت٦٨٦هـ) ٣٧٤/٣.
(٣) معاني القرآن، ٢٧٦/٢.
(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزيه، تحقيق: محمد بن بدر الدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ ، ٣٢.

لم يوجد بعد كان أبلغ وأعظم موقعًا وأفخم بيانًا؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها"(١).

ويرى السكاكي أن المضارع يدعي غابرًا ومستقبلاً، وهو ما يعقب في أوله الزوائد الأربع، وهي: الهمزة والنون والتاء والياء مقترنًا بزمان الحال أو الاستقبال(٢).

أما الصياغة المحققة في الزمن الماضي، فإنه قال: "وهو ما يكون مقترنًا بزمان قبل زمانك"(٣).

وخير مثال على ذلك، وقوفه عند قوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾(٤)، فعُدل عن الفعل المضارع: يودواْ إلى الفعل الماضي: ودّوا، الذي حقه أن يكون فعلاً مضارعًا معطوفًا على جواب الشرط: يكونوا، ويبسطوا.

ذكر السكاكي في الآية السابقة أن التحول عن المضارع إلى الماضي فيه نكتة، وهي تنُّبُهه إلى الزمن، فصيغة الماضي ههنا تدل على تحقق الحدث وحصوله لا محالة، بقوله: "ترك: يودّواْ إلى لفظ الماضي، إذ لم تكن تحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم إن يثقفوهم أعداء لهم، وباسطي الأيدي والألسنة إليهم للقتل والشتم"(٥). فالإنسان إذا أحب شيئًا أو تعلق به، فلكثرة دورانه في خلده وفي نفسه يظن أن هذا الشيء قد

(١) المصدر السابق.
(٢) مفتاح العلوم، ٤١.
(٣) مفتاح العلوم، ٣٧.
(٤) سورة الممتحنة: الآية (٢٠).
(٥) مفتاح العلوم، ١١٥.

تحقق فيعبر عنه بالفعل الماضي ظنًا منه أنه تحقق؛ لأن "العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له"(١).

فالسياق الذي يعالجه السكاكي هنا هو سياق نصي دلالي؛ لأن النص يحوي بُني لغوية ذات خواص ترتبط بمقامات إنجازها يحمل من خلالها النص وظائف عديدة، ففكرة مقتضى الحال التي يدعو السكاكي لمراعاتها يبدو منها:

- عناية السكاكي بفكرة مقتضى الحال عملية واعية ومقصودة، حيث جعلها تصطلح بدور المرشد في ضبط المعاني، وتحديد المقاصد، استنادًا لما يحفّ بالكلام من سياقات لغوية ومقامية.
- الحديث عن تغير المعنى يرتبط بالتغير الحاصل في بناء الجمل، وترتيب الكلمات، كإحلال الفعل الماضي محل الفعل المضارع، وقد حدد السكاكي الإطار البنيوي للفعل، وعالج فكرة تحويل العنصر الذي يشغل موقعًا نحويًا من دلالة إلى دلالة أخرى.

والذي عليه التفسير من حيث الناحية الدلالية ما بين السكاكي في (مفتاح العلوم) والبنيويين، اهتمام السكاكي بالمتكلم والمخاطب.

فمن ذلك أيضًا أسلوب الحصر، إمَّا بـ(إلاَّ)، وإما بـ(إنَّمَا):

الأول: يسمى عند السكاكي بـ"طريق النفي والاستثناء"(٢)، حيث قال: "يسلك مع مخاطب تعتقد فيه أنه مخطئ، وتراه يصر كما إذا رُفع كلما شبح

(١) الخصائص، ابن جني، ١٠١/٣.
(٢) مفتاح العلوم، ٢٩٤.

من بعيد"[١]. نجد أن السكاكي هنا اهتم بجانب المتكلم والمستمع في قوله: يسلك مع مخاطب، وهذا جانب من جوانب التداولية في الدرس الحديث، ويقول كذلك عن النفي والاستثناء.

"ما من موضوع يأتي فيه النفي والاستثناء إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب الخطأ مع إصرار، إما تحقيقًا، إذا أخرج الكلام على مقتضى الظاهر، وإما تقديرًا، إذا أخرج لا على مقتضى الظاهر"[٢].

فالتحليل الدقيق لهذا المفهوم عند السكاكي، وما أوردته البنيوية يظهر: مدى التطابق بينهما، إلا أن الاختلاف يكمن في التسمية، فالسكاكي يسمى المكون (مستثنى) وفي البنيوية تسمى (بؤرة)، أما الجامع بينهما فهو أنها معلومة فيها خطأ من قبل المخاطب، والتي تشتمل في مقامها الطبقة الثالثة، حيث: يتوفر المخاطب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم غير واردة، يصحح المتكلم معلومة المخاطب[٣]. وقال السكاكي في هذه النقطة: "... إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطأ مع إصراره".

والثاني: ما يسمى عند السكاكي بـ(طريق إنما)[٤]، حيث قال: "يسلك مع مخاطب في مقام لا يصر على خطئه، أو يجب عليه أن لا يصر على خطئه"[٥]، ونفس ما ورد حول (طريق النفي والاستثناء) يقال حول طريق (إنما) إلا أن الفرق بينهما يكمن في أن الأول يكون المخاطب مصرًا على خطئه في حين يقابل وظيفة البؤرة المقابلة طبقًا للطبقة المقامية الثالثة،

(١) المصدر السابق، نف الصفحة.
(٢) السابق، ٢٩٤، ٢٩٥.
(٣) الوظائف التداولية، د. أحمد المتوكل، ٢٩، ٣٠.
(٤) مفتاح العلوم، ٢٩٥.
(٥) المصدر السابق، ٢٩٥.

وهذا الطريق يحمل نفس الإشارة، أي بؤرة المقابلة، ولكن الخطأ غير المتعمد[١]، وهناك جانب آخر عند السكاكي، يمثل جانب التداولية في البنيوية، ألا وهو الجمل التي ينصب فيها الفعل المضارع بعد فاء السببية، أو واو المعية في سياق نفي أو طلب. يقول السكاكي: "الناصبة للفعل أربعة ... أحدها أَنْ وهو يفيد معنى المصدر ويخصص المضارع بالاستقبال وأنه في الاستعمال يظهر تارة ويضمر أخرى إما واجبًا وذلك بعد خمسة أشياء: ... وفاء جواب الأمر، والنهي، والنفي والاستفهام، والتمني، والعرض كنحو... لا تشتمني فأشتمك وما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا فكيف تحدثنا: أي لا إتيان ولا حديث..."[٢].

الجملة مركبة من أداة وفعلين: الأول: تشتم، والثاني: أشتمك. الفعلان مضارعان للدلالة على الخطاب للمخاطب العلاقة بينهما أداة النهي، إلا أن المعنى السياقي لطبيعة الجملة (لا) دلالة النهي، وفاء السببية تربط بين الفعلين، وكلاهما فعلان لا ترغبهما النفس.

وهكذا فطن السكاكي إلى أن قيمة الصوت لا تظهر إذا كان منفردًا، إنما يشكل لنا دلالة في حال تطافرت معه عناصر أخرى، وهي عناصر مصاحبة للصوت، وأخرى خارجة عنه، وهذه العناصر منها ما يرتبط باللفظة المفردة، ومنها ما يرتبط بالجملة وأدائها الصوتي، وترتبط أيضًا بالسياق المقالي، والحالي، ولو أن هذه المصطلحات لم يستخدمها علماء العربية قديمًا

(١) الوظائف التداولية، ٣١.
(٢) مفتاح العلوم، ٥٢.

بالطريقة التي درست بها حديثًا، لكننا نجدهم يدركون دلالة هذه العناصر في التأثير على المتلقي، كما بينه الدكتور تمام حسان(١).

ويتأكد هذا التوجه الفكري في العصر الحديث، بالدعوة للعناية بالمتكلم في دراسة اللغة "إن العنصر الإنساني هو مركز الدرس النحوي، فإذا كان المتكلم فاعلاً للكلام ومنتجًا له، فمن الضروري أن يُدرس الكلام من خلال علاقة التلاسن القائمة بين المتكلمين ..."(٢)؛ لأن قواعد التركيب وقوانينه تعود في مجملها إلى إرادة مستعمليها.

ومن المؤكد أن هذه الخطوط العريضة التي ميزت التحليل البنيوي لنصوص مفتاح العلوم للسكاكي، لا نستطيع معها تحديد منهج واحد للتحليل البنيوي، فتلك غاية بعيدة المنال بحكم الطرق المتعددة التي اتبعتها البنيوية، ولعل السبب راجع لكون التفكير البنيوي لم يتطور باتجاه واحد، فكل ناقد حلل فكرة أو ثقافة أو موضوعًا أو نصًا حسب نظريته واتجاهه، ولكن رغم اختلاف الطرق، تبقى دراسة البنية هي الهدف المقصود.

(١) ينظر: اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ، ٣٦، ١٧٨ (بتصرف).
(٢) استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، دار الحوار، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م، ١٦٧.

الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فبعد هذه الرحلة التي لقيت فيها مشقة ومتعة، كانت المشقة بسبب قلة زادي العلمي وضعف إرادتي، وكانت المتعة بما حققه الله لي من توفيق في الإطلاع على ما لا يستهان به من كنوز اللغة العربية، وأفكار أساطينها من العلماء العاملين المحبين لها، العارفين بأسرارها ودقائقها، وصلتُ إلى هذا المنجز المتواضع الذي يكشف شيئًا من هذه الأسرار مبتدئةً بتناول بعض ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة حول مفهوم البنيوية ومبادئها، وهذا ما قال به علماؤنا منذ زمن بعيد، وأثبتوه بشواهد من الفصيح المحتج به مما نثرت في كتبهم، وقد نقلت شيئًا منها متمثلاً في (مفتاح العلوم) في سياق هذا البحث، مدللةً على ما رأواْ من أن للبنيوية الأثر البالغ في تحديد المقاصد والأهداف، مما يُعدّ ميدانًا تطبيقيًا لإبراز هذا الأثر وذلك بعرض نماذج من نصوص (مفتاح العلوم) تثبت حقيقة توجّه السكاكي توجيه بنيوي.

وكان لجهدي هذا ثمار جَنِيَّة، منها:

١ــ الترسيخ بمعلومات سابقة.

٢ــ البرهنة على فرضيات والبتُّ فيها.

٣ــ الإطلاع على أفكار وطُرق جديدة، متعلقة بالتراث أو باللسانيات الحديثة وبخاصة التيار البنيوي.

٤ــ اكتشاف أسرار قديمة وتصحيح مفاهيم حديثة.

٥ــ إن بعث التراث وإحياءه من جديد واستقراءه سمح لنا بالوصول إلى نتائج مهمة تبرز لنا معرفة العرب وامتلاكهم هذا المنهج البنيوي الغربي في دراساتهم اللغوية.

٦ــ إن الدراسة العربية القديمة، على الرغم من امتدادها في القدم تبقى ركيزة تنطلق منها كل محاولة لدراسة اللغة العربية وتفسيرها وفهمها.

٧ــ إنّ الجهود المبذولة من قبل القدامى في مجال الدرس اللغوي لا يستهان بها؛ لذا لا يمكن أن ننكر ما بذلوه من إضافة أفكار جديدة، ولا ننكر أيضًا الجهود التي بذلها هؤلاء القدامى لمواكبة هذه النظريات اللغوية.

أما النتائج الخاصة، فنوجزها فيما يأتي:

١ــ إن كتاب مفتاح العلوم جمع كثيرًا من الأضواء التي بينها المنهج البنيوي، والتي كشفت عن قيمة هذا المؤلف الذي خضع للدراسة اللغوية في ضوء النظرية البنيوية.

٢ــ ثبت من خلال البحث دراسة السكاكي للكلمة بدءًا من الصوت وتنظيمه (فونولوجي)، دراسة تحليلية لمنهج وصفي ثابت يراعي المخارج والأداء الوظيفي للصوت، وأن كثيرًا من التغيرات الصوتية سببها الصيغ الصرفية والهدف منها هو التجانس الصوتي بين أصوات الكلمة الواحدة.

٣ــ تبين من خلال الدراسة أن تحليلات السكاكي الصرفية خاضعة لمنطق اللغة العربية، أي لميزانها الصرفي.

٤ــ أثبت البحث أن التحليلات التركيبية عند السكاكي، هي جُـل العناصـر النحوية (فاعل، مفعول، تمييزَ، حال ... إلخ)، ومن ثمَّ تحديد الوظائف النحوية لكل عنصرٍ في الجملة، وربطها بالعلاقات الأخـرى المتداخلـة بينهما، مما يؤدي إلى كشف الدور السياقي، ومدى التطور الذي حدث فيها من علاقات متداخلة.

٥ــ وضح البحث أنه في إسناد الوظائف الإنجازية يظهر أن السـكاكي قـد ألمح إلى هذا النوع في قسم علم المعاني من كتابه (مفتـاح العلـوم) والتي لها الفضل الكبير في إظهار قيمـة التداوليـة، ممـا يـوحي أن للسكاكي خلفية تداولية سابقة ألمح إليها، والتـي لا تعـدو أن تكـون أغراضًا وغايات تواصلية.

٦ــ بينت اللسانيات العربية الحديثة ــ في محاولتها إعادة وصـف اللغـة العربية: ــ ما اقترحته البنيوية من تقسيم إجرائي ومنهجي للغة علـى أربعة مستويات: المستوي الصوتي، المستوي الصـرفي، المسـتوي النحوي والمستوى الدلالي، ولابد من دراستها دراسة وصفية.

٧ــ إن تطبيق المنهج البنيوي على تحليل النصوص اللغوية يكشـف عـن قيمة هذا المنهج؛ لأنه يتناول جزيئات النص، ويعيد تجميعها من جديد؛ لتكشف عن مكامن الإبداع في النصوص.

٨ــ تبين من الاستنتاجات السابقة مدى وجـود التقـارب النظـري لآراء السكاكي مع المنهج البنيوي، وإن كان هناك اخـتلاف بينهمـا، فإنـه شكلي خارجي وليس جوهري، وبشكل آخر يمكن القـول أن السـكاكي

يشكل تيارًا بنيويًا في التراث العربي، وأنه لم يكن بعيدًا عن روح الدرس المعاصر.

التوصيات:

١ــ توصي الدراسة الباحثين بتشجيعهم وحثهم لدراسة التراث، وربطه بالنظريات والمدارس اللغوية في مجال اللسانيات؛ وذلك بغرض المواكبة والتأصيل.

٢ــ هناك كثير من مفكرين بجانب السكاكي الذين لهم آراء مهمة في اللغة، ولا يزالون كنوزًا مدفونة في التراث، فينبغي للباحثين أن يكشفوا تلك الآراء، فربما تنور آراؤهم لإشكالياتنا المعاصرة.

٣ــ ينبغي للباحثين أن لا تقتصر نظرتهم على التراث العربي فحسب، بل أن يوسعوا دائرة بحثهم، محاورين بالتراث الآخر، فربما يستطيعون أن يفهموا تراثًا فهمًا أتم وأدق بضوء تراث آخر.

وبعد، فهذا البحث ذو طابع منهجي، بمعنى أنه يفتح الطريق للحصول على المزيد من المعلومات والتفاصيل في البحوث اللاحقة للباحثين، كما أن هذه الدراسة لا تدعي الكمال، فالكمال لله وحده، والنقص للبشر، إنما الغاية من الدراسة الموضوعية الوصول إلى غايات البحث العلمي، بوصفه ممثلاً لنظرية معينة.

وبهذا يصبح التراث قريب المنال، طيب المأخذ، ومواكبًا لحركة التطور.

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، وتجاوز عنا في كل خطأ أو زلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،، **الباحثة**

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .. جل من أنزله

١ــ أبحاث في أصوات العربية، حسام الدين النعيمي، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد ــ العراق، ١٩٩٨م.

٢ــ الاتجاهات النحوية لدى القدماء: دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، حليمة أحمد عمايرة، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٣ــ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبدالصبور شاهين، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٧م.

٤ــ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م.

٥ــ استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، هيثم سرحان، دار الحوار، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.

٦ــ الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ومارك جونسون، ترجمة: عبدالبر جحفة، دار توبقال، ط١، ١٩٩٦م.

٧ــ أسرار العربية، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنباري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.

٨ــ أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨م.

٩ــ أسس علم اللغة، برجشتراسر، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، مطبعة المجد، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م.

١٠ــالأسلوبية، جورج مولينيه، ترجمة: د. بسام بركة، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١ــ الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبدالقادر عبدالجليل، دار الصفاء، عمان، ٢٠٠٢م.
١٢ــ الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صنعاء للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن، ط١، ١٤١٨هـ ــ١٩٩٨م.
١٣ــ الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٤م.
١٤ــ أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٥م.
١٥ــ الأصول: دراسة سيمولوجية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة.
١٦ــ أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط مصر، ١٩٩٤م.
١٧ــ الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ٢٠٠٤م.
١٨ــ آفاق في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، الإسكندرية، دار المعرفية الجامعية، ٢٠٠٤م.
١٩ــ أفعال الكلام العامة، جون أوستين، (كيف تنجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د.ط)، ١٩٩١م.
٢٠ــ الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة) ميشال زكريا، المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (د.ط)، ١٩٨٦م.
٢١ــ الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٢م.
٢٢ــ الألسنية في علم اللغة الحديث ــ المبادئ والأعلام ــ، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٣ــ الأنثروبولوجيا البنيوية ــ لكود ليفي شتراوس، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣م.
٢٤ــ الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٢م.
٢٥ــ الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية، خالد ميلاد، تونس، جامعة منوبة، ٢٠٠٢م.
٢٦ــ الأنماط التحويلية في النحو العربي، محمد عبداللطيف حماسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م.
٢٧ــ أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د. حسام البهنساوي،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ــ مصر، (د.ط)، ١٩٩٤م.
٢٨ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، (د. ت).
٢٩ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ــ بيروت.
٣٠ــ البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٢، ٢٠٠٣م.
٣١ــ بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.
٣٢ــ البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
٣٣ــ البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، عمر مهيبلي، ٢٠١٠م.
٣٤ــ تاج التراجم في طبقات الحنفية، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم (ت٨٧٦هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ ــ١٩٩٢م.

٣٥ــ تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين.
٣٦ــ تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٧م.
٣٧ــ التحليل الدلالي ــ إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م.
٣٨ــ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود أحمد عكاشة، دار النشر، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٩ــ التداولية عند العلماء العرب: دراسة في التداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراب اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٤٠ــ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب بكوش، الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٧٣م.
٤١ــ التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ ــ١٩٩٧م.
٤٢ــ التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.
٤٣ــ التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٠م.
٤٤ــ التفكير العلمي في النحو العربي، حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر، ط١، ٢٠٠٢م.
٤٥ــ التفكير اللغوي بين القديم والحديث، د. كمال محمد بشر، دار الثقافة العربية، مصر، (د.ت).

٤٦ــ التوليد الدلالي: دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر، لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، حسام البهنساوي، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٣م.

٤٧ــ الجذور الفلسفية البنائية، فؤاد زكريا، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء ــ المغرب، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٨ــ الجملة العربية ــ تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٩ــ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج بالقراءات، عبدالبديع الفيربـاني، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، سوريا ــ دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

٥٠ــ الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥١ــ دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية ــ التراكيب النحوية والتوليدية ــ علم النحو وعلم المعاني)، عبدالحميد السيد، دار حامد، عمان ــ الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٢ــ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).

٥٣ــ دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٤، ٢٠٠٦م.

٥٤ــ الدرس الصوتي عند ابن عصفور، سعيد محمد إسماعيل علي، تحقيق: محمد جواد النوري، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٥ــ دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرماوي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

٥٦ــ دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد النجار، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
٥٧ــ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٣٩٤هـ ــ١٩٧٥م.
٥٨ــ الساميون ولغتهم، د. حسن ظاظا، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
٥٩ــ سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ــ٢٠٠٠م.
٦٠ــ سر الفصاحة، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م.
٦١ــ سوسير والألسنية، ضمن أهم المدارس اللسانية، محمد الشاوش، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط٢، ١٩٩٠م.
٦٢ــ شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٤م.
٦٣ــ شرح الرضى لكافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي، (٦٨٦هـ).
٦٤ــ شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ ــ١٩٨٢م.
٦٥ــ شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله بن المرزبان (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٦٦ــ شرح المفصل، لابن يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين،المطبعة المنيرية.

٦٧ــ شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٦٨ــ الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٩ــ الصوتيات والفنولوجيا، مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

٧٠ــ العامل بين الاقتصاد والتطبيق، محمد الفاسي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

٧١ــ عبدالقاهر الجرجاني ــ بلاغته ونقده ــ أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٣م.

٧٢ــ عصر البنيوية، من ليفي شتراوس إلى فوكو، إديثا كرويزويل، ترجمة: جابر عصفور، طبعة دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧٣ــ علم أصوات العربية، محمد جواد النوري، جامعة القدس، ط٢، ٢٠٠٣م.

٧٤ــ علم الدلالة: دراسة وتطبيق، د. نور الهدى لوشن، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، (د.ت).

٧٥ــ علم الصرف الصوتي، د. عبدالقادر عبدالجليل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن، ١٩٩٨م.

٧٦ــ العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبداللطيف، ٢٠١١م.

٧٧ــ علم اللسانيات الحديثة، عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للطباعة، ط١، ٢٠٠٢م.

٧٨ــ علم اللغة، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

٧٩ــ علم اللغة العام ــ الأصوات ــ د. كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨٠ــ علم اللغة ــ مقدمة للقارئ العربي ــ د. محمود السعران، ١٩٦٢م.
٨١ــ فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، نابلس، مطبعة النصر التجارية، ١٩٩١م.
٨٢ــ فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبدالتواب، مطبوعات جامعة الرياض، (د.ت).
٨٣ــ فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٨٤ــ فلسفة التواصل، جان مارك فيري، ترجمة: عمر مهيبل، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م.
٨٥ــ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بن بدر الدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ.
٨٦ــ في الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.
٨٧ــ في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحة، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.
٨٨ــ في معرفة النص، يمني العيد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م.
٨٩ــ في النحو العربي ــ نقد وتوجيه ــ، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
٩٠ــ في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، خليل عمايرة، عالم المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٩١ــ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٦هـ ــ٢٠٠٥م.
٩٢ــ قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، حافظ إسماعيل علوي، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٩٣ــ قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنـــوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.

٩٤ــ قضية البنيوية: دراسة ونماذج، عبدالسلام المسدي، وزارة الثقافة، تونس، ط١، ١٩٩١م.

٩٥ــ كتاب الجمل في النحو، ترجمة المؤلف: الخليل الفراهيدي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ ــ١٩٩٧م.

٩٦ــ كتاب العين، للخليل، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٩٧ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري، جـــار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتـــاب العربـــي، بيـــروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٩٨ــ الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، سمية المكي، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٩٩ــ الكلام إنتاجه وتحليله، د. عبدالرحمن أيوب، مطبوعات الجامعة، الكويـــت، ط١، ١٩٨٤م.

١٠٠ــ الكلمة: دراسة معجمية لغوية صوتية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

١٠١ــ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر ــ بيروت.

١٠٢ــ اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجيـــة، مصطفى غلفان، دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١٣م.

١٠٣ــ اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضـــايا التلقي وإشكالاته، حافظ إســـماعيل العلـــوي، دار الكتـــاب الجديـــد، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠٤ــ اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.
١٠٥ــ اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٩م.
١٠٦ــ اللغة، جوزيف فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.
١٠٧ــ اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
١٠٨ــ اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، العراق، ١٩٨٧م.
١٠٩ــ اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، ١٩٨٥م.
١١٠ــ مبادئ اللسانيات البنيوية، طيب دبة، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠١م.
١١١ــ مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦م.
١١٢ــ محاضرات في اللسانيات العامة، فرديناند دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، جامعة الموصل، ١٩٨٤م.
١١٣ــ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
١١٤ــ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبدالله محمد الرازي (ت٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية.
١١٥ــ مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب ــ سوريا، ط١، ١٩٩٣م.

١١٦ــ المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم بدوي حمد، منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٢م.

١١٧ــ مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبدالعزيز، دار الفكر، بيروت.

١١٨ــ مدخل إلى علم اللغة النص، فولف جانج هانيه، وريتر فيهفجر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

١١٩ــ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٢٠ــ مدخل إلى النحو التفريعي، عبدالرازق دواري، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.

١٢١ــ مدخل للصواتة التوليدية، إدريس الغروشني، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٧م.

١٢٢ــ المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٨هـ ــ١٩٩٨م.

١٢٣ــ مشكلة البنية، أضواء على البنيوية، د. زكريا إبراهيم، مصر ــ القاهرة، ١٩٧٦م.

١٢٤ــ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبدالعزيز الصيغ، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٢٥ــ معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، تحقيق: عيد مصطفى درويش، وعوض بن حمد القوزي،

١٢٦ــ معاني القرآن، الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية، ط١.

١٢٧ــ معجم القراءات، عبداللطيف الخطيب، سوريا ــدمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م.

١٢٨ــ معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، (د.ت).

١٢٩ــ معجم اللسانيات الحديثة: إنجليزي ــ عربي، سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جرس، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
١٣٠ــ معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت:١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
١٣١ــ مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي (ت٦٢٦هـ)، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت ــ لبنان.
١٣٢ــ مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، مكة، مركز بحوث اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م.
١٣٣ــ مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
١٣٤ــ الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م.
١٣٥ــ مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م.
١٣٦ــ من البنية الحملية إلى البنية المكونية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٧م.
١٣٧ــ المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ ــ١٩٥٤م.
١٣٨ــ المنهج الصوتي للبنية ــ رؤية جديدة في الصرف العربي ــ د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٣٩ــ المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الغرطوسي، د. عبدالجليل عبيد حسين، ط التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.

١٤٠ــ النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، ١٩٨٨م.

١٤١ــ نحو نظرية لسانية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

١٤٢ــ النحو الوافي، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٠م.

١٤٣ــ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، (د.ط)، (د.ت).

١٤٤ــ نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشرق، القاهرة،ط١، ١٩٩٨م.

١٤٥ــ نظرية النحو العربي، في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسي، دار البشير، ط٢، ١٩٨٧م.

١٤٦ــ نظرية النقد الأدبي الحديث، د. يوسف نور عوض، دار الأمين،مصر، ط١، ١٩٩٤م.

١٤٧ــ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، مكتبة طيبة، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٤٨ــ هندسة المستويات اللسانية من المصادر العربية، مكي درار، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

١٤٩ــ الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ ــ١٩٨٥م.

الرسائل الجامعية:

١ــ التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي، رسالة دكتوراة في اللغة، جامعة وهران اللسانية، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

٢ــ دلالة الصيغ الصرفية في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد سليمان الشريف، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، ١٩٨٦م.

٣ــ المنحنى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور الطاهر شارف (سورة البقرة نموذجًا)،مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

٤ــ نظرية الأصالة والتفريع الصوتي في الآثار العربية، سميرة رفاس، رسالة دكتوراة في اللغة، جامعة وهران، ٢٠٠٧/٢٠٠٨م.

٥ــ الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، رسالة دكتوراة، جامعة وهران، ٢٠٠٣م.

الدوريات:

٦ــ الاتجاه الوظيفي في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر والألسنية، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٩م.

٧ــ التجارب الفيزيائية، محمد حلمي، مجلة اللسان العربي، من السياق إلى النسق، عبد القادر عبو، مجلة منون، الجزائر، ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	**الملخص**:	٢٣٩٧
٢.	**الملخص باللغة الإنجليزية**	٢٣٩٨
٣.	**المقدمة**	٢٣٩٩
٤.	**التمهيد**: (**البنيوية في المدارس اللسانية المعاصرة وفي التراث العربي**).	٢٤٠٦
٥.	**المبحث الأول**: (**بنيوية الصوامت**).	٢٤٢٩
٦.	**المبحث الثاني**: (**بنيوية الصوائت**).	٢٤٧٣
٧.	**المبحث الثالث**: (**بنيوية التراكيب**).	٢٤٨٧
٨.	**المبحث الرابع**: (**بنيوية الدلالة**).	٢٥٠٦
٩.	**الخاتمة**.	٢٥٢٣
١٠	**فهرس المراجع والمصادر**	٢٥٢٧
١١	**فهرس الموضوعات**	٢٥٤١